مختارات من الشعر السوفييتي

ترجمة
عبد الرحمن الخميسي
وآخرين

دار «رادوغا»
موسكو

СТИХИ СОВЕТСКИХ ПОЭТОВ
Составитель А. Аль-Хамиси
На арабском языке

©Состав—издательство «Радуга», Москва, 1985

©الترجمة الى اللغة العربية ، دار «رادوغا» ، ١٩٨٥

طبع فى الاتحاد السوفيتى

C $\frac{4702010200-547}{031(05)-85}$ 071-85

ISBN 5-05-000083-1

في الشعر السوفييتي

بقلم نيكولاي بانيكوف
ترجمة خيري الضامن

لقد قلبت الحياة الفوارة في الاتحاد السوفييتي القول المأثور القديم «عندما يتكلم السلاح تصمت الهات الفن» . ولم يعد هذا القول صحيحا منذ فجر نشوء الدولة السوفييتية الجديدة . فالانقلاب الاجتماعي العظيم المتمثل في ثورة اكتوبر ١٩١٧ لم يوقف مجرى الابداع الشعري في روسيا ، بل على العكس فجّر فيه عاصفة اسفرت عن ازدهاره من جديد . ومنذ الشهور الاولى لترسخ سلطة السوفييتات اخذت تظهر في كل مكان اتحادات كثيرة للشعراء والادباء . وشكل الشباب في المدن والارياف حلقات الهواة الادبية . ورغم الصعاب الناجمة عن الخراب والحرب الاهلية التي اندلعت آنذاك صدرت الدواوين الواحد تلو الآخر ، ودوت الكلمة الشعرية المفعمة بالحماسة الثورية من على منابر النوادي والمسارح والمقاهي . . .

وحتى جرائد وحوليات المحافظات والاطراف نشرت الكثير من الاشعار التي كانت صدى للاحداث السريعة في تلك الحقبة . وبدأ اصدار طبعات شعبية من الكتب والدواوين الشعرية للجماهير الواسعة . وعلقت الحكومة السوفييتية برئاسة فلاديمير لينين اهمية بالغة على الكتاب الموجه الى الجماهير العريضة . ورحب لينين ترحيبا حارا بطبع مؤلفات بوشكين

ونكراسوف وغيرهما من الشعراء الكلاسيكيين بعدد كبير من النسخ . وكان يتابع باهتمام نشاط دور النشر السوفييتية ويحرص على جعل التراث الرائع للكتاب الكلاسيكيين الروس والاجانب في متناول ايدي الشغيلة .

وفي السنوات الاولى بعد الثورة كان الطريق قصيرا جدا بين كتاب التهجي وبين مطالعة الاقصوصة او القصيدة الاولى بالنسبة للكثيرين من الشباب واحيانا لمن هم اكبر منهم سنا في روسيا السوفييتية . وتفتحت الطاقات الشعبية وانطلقت المبادرات وترعرعت كل انواع الابداع . فالشعب العامل البسيط الذي اغلقت مناهل الثقافة في وجهه سابقا يريد معرفة كل شيء والتضلع بكل شيء . وكان على الشعر ان يتناول المواضيع الجديدة باتقان وعلى جناح السرعة وان يجسد الحياة الجديدة المتغيرة بشكل عاصف وان يغدو مفهوما للجماهير الشعبية الواسعة وعزيزا عليها . كان الشعب حتى في روسيا القيصرية القديمة يعتبر الشعر قضية رفيعة مقدسة . وكان الشعر يحظى بالحب والتقدير فالناس يبحثون فيه عن النور والارشاد والجمال . وكان الشعب يدرك بالفطرة ان بوشكين او نكراسوف من اصدقائه ومرشديه . لكن دواوين الشعراء الروس وشعراء قوميات الاتحاد السوفييتي الاخرى لم تصبح في متناول الملايين من الشغيلة ولم تدخل المدارس واحياء العمال ومنازل الفلاحين ولم تبلغ ابعد ارجاء الارض السوفييتية الا بعد الثورة .

وفي عهد المحن الثورية والصراع الطبقي الضاري لم تغادر الوطن اغلبية الشعراء الروس الموهوبين المشهورين من امثال الكسندر بلوك واندري بيلي وفاليري بروسوف وفلاديمير

مایاکوفسکي وسرغي يسينين وآنا اخماتوفا الذين التزموا جانب الشعب الثائر . وجابت ربوع البلاد كالصدى الهدار ملحمة بلوك «الأثنا عشر» التي صدرت في مطلع عام ١٩١٨ والتي تتغنى بامجاد الحرس الاحمر . فالزوابع الثلجية التي تحكي عنها الملحمة صارت لحنا رئيسيا نجده في الكثير من نتاجات الشعر والنثر في تلك الحقبة . وقد تغلغلت ملحمة «الاثنا عشر» ابان الحرب الاهلية في الاراضي المحتلة من قبل جيوش الحرس الابيض ، فاثارت الحب عند بعض القراء والحقد عند بعضهم الاخر ممن ارادوا ان يلقوا على رقبة الشعب من جديد نير القهر والاضطهاد . ويمكن اعتبار ملحمة «الاثنا عشر» بداية للشعر السوفييتي واستهلالا ملهما له . وفي ملحمة اخرى نظمها بلوك في نفس تلك الفترة ، وهي ملحمة «الاسقوثيون» يدعو هذا الشاعر الانساني شعوب الغرب وجميع الشعوب الى الوفاق والسلام ويؤكد على الاخوة الوضاءة بين الناس من مختلف الحضارات والقوميات .

وقد ساعد ديميان بيدني افراد الجيش الاحمر في القتال على جبهات الحرب الاهلية واستخدم لهذا الغرض سلاح الكلمة الشعرية بشكل نداء حماسي تارة وهجاء ساخر تارة اخرى ورباعيات شعبية تارة ثالثة . فهذا الشاعر متضلع في اساليب الكلام الشعبي الساخر اللاذع الخشن بعض الشيء . وقصائده «كالقذائف المتفجرة الحية» على حد تعبيره . يقول معاصرو ديميان بيدني : «يمكن للمرء ان يرى كراساته الشعرية الى جانب الخبز والتبغ تتدلى من جيوب الفلاحين ممن يجيدون القراءة في الريف ، ومن جيوب العمال وافراد الجيش الاحمر» .

وفي العصر السوفييتي تفتحت كليا الطاقات الابداعية للشاعر العظيم فلاديمير مياكوفسكي . فان تمجيد المسيرة الكفاحية والرسوم والكتابات على يافطات «وكالة الانباء الروسية» والاستجابة الشعرية الفورية لاكثر مواضيع الساعة الحاحا والمسرحيات الهزلية الساخرة والملاحم الضخمة عن الحب والثورة ولينين — تلك هي ابعاد نشاط هذا الشاعر المبدع . كان يجوب البلاد دوما وينشد اشعاره معلنا عن ولائه التام للدولة السوفييتية التي يكرس لها كل مواهبه وطاقاته . وكان له تأثير كبير على الشبيبة السوفييتية الطليعية التي تحبه حباً جماً . ان مياكوفسكي شاعر مجدد جهد في ترسيخ النظرة الجديدة الى رسالة الشاعر ودوره في المجتمع كمناضل في سبيل المثل العليا الوضاءة وفي سبيل سعادة البشرية . وقد غدا نفسه من الشخصيات المتميزة الاصيلة في الثورة البروليتارية . ولا تزال مساهمته الهائلة في الثقافة الروحية السوفييتية قوة فاعلة في الآونة الراهنة ايضاً . فان الاسلوب الشعري المتميز الفريد الذي ابتدعه مياكوفسكي منذ عهد الفتوة غدا حدثا جديدا لم يسبقه مثيل في تاريخ الشعر الروسي . وقد اثر هذا الاسلوب بشكل او بآخر على عدد كبير جدا من الشعراء السوفييت . كما ان الكثيرين من شعراء الغرب التقدميين اخذوا عن مياكوفسكي كما هو معروف .

ولئن كان مياكوفسكي داعية الثورة ومناديها المتحمس وبوقها الهدّار فان سرغي يسينين هو نايها الذهبي . ولولا ثورة اكتوبر لظل يسينين ، في اغلب الظن ، مغني «الحقول الحزينة» ، ولما تهادت اصوات نايه الرعوي بهذه الحدة والعلو ولما سمعت الاراضي الروسية كلها اغانيه العاطفية .

ان هذا الشاعر المرهف والساحر الملهم في رسم المناظر الروسية الشعرية انما يتميز بحس رقيق مدهش ازاء الوان الارض واصواتها وعطورها ، فقد عبر في قصائده وملاحمه عن فرحة تحرر الربيع وانطلاقة المستقبل والتصادمات الفاجعة في عصر الانعطاف . قال يسينين : «الشعور بالوطن هو عصب نتاجي» . وجسدت افضل قصائد يسينين الجمال الروحي للانسان الروسي الذي يحب يسينين كما يحب بوشكين وليرمونتوف ونكراسوف .

وكان بوريس باسترناك شاعرا غنائيا فريدا ، منطويا على نفسه ومنزويا عن العالم احيانا . وهو ، من حيث اسلوبه الادبي ، انطباعي عفوي ارتبط في فتوته بالمستقبليين ، ومنهم مياكوفسكي آنذاك ، لكنه انفصل عنهم فيما بعد . وكانت قصائد باسترناك المبكرة ذات نكهة خاصة رغم كثرة الصور المعقدة والتداعيات الذاتية الصرف ، ويلاحظ فيها احساس جديد بماجريات العصر العاصف . ومع تمسك الشاعر بحساسية الاستيعاب الرهيف فقد كان يبحث بدأب عن طريق يقوده الى البساطة الكلاسيكية والسهولة في الاسلوب . وكان باسترناك من اروع مصوري الامطار والزوابع الثلجية الروسية والندى المتجمد والفيضانات الربيعية في روسيا . وقد تغنى بالحياة ومجّدها بوصفها هبة اصيلة تفوق التقدير . وهو ، مثل توتشيف ، يتحسس بكل دقة وحدة الانسان والطبيعة — «مكمن كنوز الكون» . ان قصائد باسترناك عن ثورة ١٩٠٥ وملحمته الروائية الشعرية «سبيكتورسكي» التي نظمها في العشرينات ، وكذلك العديد من مجموعاته الغنائية التي نظمها فيما بعد تعتبر من اروع صفحات الشعر السوفييتي

ورصيده الذهبي .

ان مایاکوفسکي ويسينين وباسترناك ، وهم شعراء على معرفة كاملة ببعضهم البعض ، ولكنهم غير متشابهين اطلاقا من حيث طبيعتهم ، انما يشكلون الفروع الامتن في القمة الكثيفة الوارفة لشجرة الشعر السوفييتي في المرحلة الاولى من تطوره ، في العشرينات والثلاثينات والاربعينات .

كان ذلك في المقام الاول شعرا ديمقراطيا من حيث الجوهر . فمنذ نشوئه تجاوز بكل حزم اطار شعر النخبة الضيق المخصص لفئات المجتمع المتعلمة الموسرة . وغدا فنا يخاطب الشعب بأسره ، ويبحث عن اعرض الطرق للوصول اليه . كان شعرا جديدا مفعما بالحماسة الثورية الوطنية ، حماسة التحويل ، ويستقي دوافعه وصوره وانغامه من الواقع المتنوع العاصف . وكان البطل الغنائي للقصيدة ، وكذلك الشخوص الرئيسية للملاحم الروائية والسردية الغنائية في الشعر السوفييتي تجسيدا حيا للافكار التقدمية المتطلعة الى اعادة بناء نمط الحياة الاجتماعية كلها في البلد الشاسع على اسس من العدل والانصاف .

ان الشعر السوفييتي ، اذا تناولناه بمجمله ، وبلا استثناء بحر متلاطم متعدد الاصوات والجوانب والالوان . فالواقعية السائدة في الادب السوفييتي لم تكن على الاطلاق عائقا امام ظهور النسمات الرومانسية فيه ، واللوحات الاجتماعية الملحمية لم تقف حاجزا دون ظهور نزعة غنائية متشعبة للغاية ومصطبغة بالاصالة الفردية ، والشعر الحماسي الملتهب سياسيا كان دوما يقف جنبا الى جنب مع اكثر الاغاني رقة وحنانا . لقد ترك في الادب السوفييتي اثرا لا ينسى

شعراء من مختلف النوازع النفسانية والروحية ومختلف الصبغات الفردية . ومنهم نيكولاي آسييف الشاعر الغنائي المتمكن باتقان وطلاقة من الكلمة الرنانة التي تجعل المرء يعجب بها كما يعجب بقوس قزح . ومنهم نيكولاي تيخونوف صاحب القصائد المسبوكة المحكمة المقتضبة الذي يتناول في مقطوعاته احداث الحرب الاهلية القاسية وبسالة الخيالة الحمر وصمود وشجاعة الوطنيين . ومنهم بيوتر اوريشين الذي ترعرع في القرى الفقيرة باكواخها المغطاة بسطوح القش والذي يتغنى «بحفيف السنابل وهي تنضج في الاحلام» ، ومنهم فاسيلي كازين المغرم بالربيع والشمس والذي يتحسس باروع شكل شاعرية عمل الحجارين والنجارين والسباكين . ومن هذا الرعيل ايضا ادوارد باغريتسكي مغني شواطئ البحر الاسود ومبارزات السيوف في اوكرانيا الذي تشبع نتاجه بالرومانسية الحية الزاهية ، مثل لوحات روبنز ، وكذلك فلاديمير لوغوفسكوي الذي تتجلى قوة العضلات في اشعاره المتوترة وكأنه رياضي ، وايليا سيلفينسكي الشاعر التجريبي بالفطرة والمبدع فى نظم الملاحم الطويلة والدراما الشعرية ، والكسندر بروكوفييف المرتفع الصوت كأهالي الريف والذي يلبس اشعاره حلة زاهية كمناديل القرويات ، ونيكولاي زابولوتسكي الكثير التأمل والميال الى الفلسفة والذي صهر في قصائده الرصانة الكلاسيكية المهيبة مع المحسنات البديعية المستقاة من جراب المستقبليين ، وبافل فاسيليف المفعم بحماسة قوزاق السهوب والذي يتلمس باحساس نافذ كل مسامات الارض وميخائيل سفيتلوف الرومانسي الرقيق والساخر الظريف ، وميخائيل اساكوفسكي صاحب الاغاني الرائعة المنظومة بشاعرية روسية صرف . . .

في المراحل الاولى نشأت في الادب السوفييتي ، ومنه الشعر ، مختلف الكتل والجماعات التي كانت تبحث في الابداع عن اسلوب تنفرد به وملامح تميزها عن غيرها . فالى جانب جماعة «ورشة الحدادة» الشعرية التي جسد افرادها في قصائدهم الحماسة العالمية الكونية للثورة كانت هناك جماعة «الحرس الفتي» التي ضمت شعراء جيل الشبيبة الكومسومولية — الكسندر بيزيمينسكي والكسندر جاروف ويوسف اوتكين ، كما نشطت جماعة «الجبهة اليسارية» التي نشأت من احشاء التيار المستقبلي وتزعمها فلاديمير مياكوفسكي . وكانت تنافسها جماعة «التركيبيين» — ايليا سيلفينسكي وفلاديمير لوغوفسكوي وادوارد باغريتسكي والشاعرة فيرا اينبير . وساعد وجود هذه الجماعات وغيرها على تحديد هوية الشعراء وازدياد كفاءاتهم الفنية . الا ان الجماعات الادبية استنفدت طاقاتها الكامنة مع بداية الثلاثينات وصارت عائقا امام التطور اللاحق للفن الاشتراكي . وفي خريف عام ١٩٣٤ التأم المؤتمر الاول للكتاب السوفييت الذي لمّ شمل جميع القوى والطاقات الحية في الادب السوفييتي حول برنامج الواقعية الاشتراكية . والى جانب الرعيل الاول من الشعراء السوفييت في تلك الحقبة الذين بلغوا قمة النهوض في الطاقات الابداعية ، ظهر جيل جديد من الشعراء الشباب الموهوبين : بافل فاسيليف وبوريس كورنيلوف وياروسلاف سميلياكوف ودميتري كيدرين والشاعرة اولغا بيرغولتس وكثيرين غيرهم .

ولعلنا نقول ان تطور الشعر السوفييتي سار في طريق التفاعل بين التجديد والتقليد . فالتقاسيم الجديدة والصور الجديدة والحلول التي لم يسبقها مثيل من حيث تناول الموضوع

في الشعر السوفييتي كانت تظهر دوما بالاعتماد على افضل منجزات الشعر الكلاسيكي . ان الشعر السوفييتي يعايش العصر دوما ويتحسس الجديد ، ولكنه فضلا عن ذلك يتلمس جيدا ترابط العصور ويغترف ما يحتاج اليه من كنوز التراث الكلاسيكي ، فيأخذ عن بوشكين ونكراسوف وليرمونتوف على الخصوص . ثم ان حب الادب والشعر الكلاسيكيين ، حب المبدعين العباقرة عظيم في المجتمع السوفييتي . ولو جمعنا ، مثلا ، كل قصائد الشعراء السوفييت المكرسة لبوشكين وحده لتكوّن منها ديوان ضخم .

لقد ابدع الشعر السوفييتي خلال عشرات السنين من وجوده قيما فنية وجمالية هائلة . ويشمخ امامنا ، كقمة عظيمة ، تراث مياكوفسكي الحيوي الفوار ، وتستجيب افئدة الملايين من الناس لقصائد يسينين . ولا يزال يزدهر الشعر الغنائي الرائع لدى شعوب روسيا واوكرانيا وبيلوروسيا وجمهوريات ما وراء القفقاس وآسيا الوسطى والبلطيق . وظهرت سلسلة كاملة من الملاحم الرائعة الروائية الصرف والروائية الغنائية . وعلى اثر مياكوفسكي ويسينين نظم الملاحم الشعرية ايليا سيلفينسكي وادوارد باغريتسكي وبافل فاسيليف وليونيد مارتينوف والكسندر تفاردوفسكي وقسطنطين سيمونوف وفاسيلي فيودوروف وايغور ايسايف .

ولعب الشعر دورا هائلا ابان الحرب الوطنية العظمى التي خاضها الشعب السوفييتي ضد الغزاة الهتلريين . ومنذ الايام الاولى بعد هجوم الفاشيين الغادر نظم الشعراء السوفييت ونشروا قصائد تدعو الى مقارعة العدو وتستنهض الهمم وتستثير الشجاعة والبسالة لدى الشعب . وارتدى الادباء السوفييت من كتاب وشعراء المعاطف العسكرية وانخرطوا في صفوف الجيش

المحارب وعملوا في الصحافة العسكرية وتقاسموا مع افراد الجيش الاحمر كل المحن والنوائب وتعرضوا للقصف المعادي وشاركوا مع الجنود في الهجوم والاقتحام ، حيث خدموا في وحدات المشاة والدبابات والمدرعات وفي القوات الجوية والبحرية . وما اعظم البسالة والتحمل والصمود التي ابداها كتاب وشعراء لينينغراد المحاصرة من قبل الفاشيين والتي كانت عرضة لنيران المدفعية الثقيلة حوالي ثلاثة اعوام . لقد اسهمت اولغا بيرغولتس واسهم نيكولاي تيخونوف والكسندر بروكوفييف وميخائيل دودين بقسطهم في مأثرة اللينينغراديين القتالية التي تفوق التصور من حيث الصعوبة والعسر . واستشهد عدد غير قليل من شعراء الجبهة ، وكان بينهم شعراء شباب بادئون ذوو مواهب لا جدال فيها من امثال نيكولاي مايوروف وبافل كوغان . وكان الكسي سوركوف وبافل شوبين ويفغيني دولماتوفسكي والكسندر ياشين وبافل انتوكولسكي ونيكولاي ريلينكوف وكثير جدا من الشعراء الاخرين متواجدين جنبا الى جنب مع الجنود والضباط في الخنادق والمخابئ ، في اتون الحرب ، ويخدمون الشعب بالمقالات والريبورتاجات المتحمسة السريعة في الصحف والاذاعة ، وبالشعر اللاذع والرهيف في الوقت ذاته والاغاني الذائعة الصيت التي تمس شغاف القلوب . لقد سلحوا الشعب روحيا . ومنذ بداية الحرب دوت اغنية «انهضي يا بلادنا الشاسعة !» ، تلك الاغنية المقاتلة الباسلة التي جسد فيها الشاعر ليبيديف — كوماتش قوة الشعب التى لا تقهر . وطوال الاعوام الاربعة من الحرب كانت هذه الاغنية بمثابة السلام الجمهوري الثاني للدولة السوفييتية . وما اكثر الاغاني الرقيقة العذبة التي تتغنى

بحب الوطن وحب المواطنين السوفييت والاسرة والحبيبة ، ما اكثر تلك الاغاني التي نظمت ابان الحرب !

يعتبر ميخائيل اساكوفسكي في مقدمة شعراء الاغاني انذاك . كان في الواقع ينظم قصائد غنائية وملحمية ، لكنها تنطوي على قدرة عارمة للانشاد وطاقة موسيقية ضخمة . وكان يرصف الكلمات والتعابير الروسية على نحو يحمل الملحن على تلحينها في الحال ، وتغدو الاغنية منذ انشادها لاول مرة من الاذاعة او على شاشة السينما اغنية شعبية بكل معنى الكلمة . كان الناس في كل مكان ، في الجبهة والمؤخرة ، ينشدون اغاني اساكوفسكي مثل «كاتيوشا» ، «صدر الامر اليه بالتوجه نحو الغرب . . .» و«في الغابة قرب الجبهة» و«المنار» .

واثناء الحرب تصلب عود الشاعر المبدع ، الشاب آنذاك ، قسطنطين سيمونوف الذي نظم قصائد جبهوية مست شغاف قلوب كل المواطنين السوفييت وحظيت باقبال واسع متميز . واحب الناس خصوصا قصيدته «انتظريني» التي كان الجنود يقتطعونها من الجرائد ويستنسخونها وهم في الخنادق ويحفظونها عن ظهر قلب ويبعثونها في رسائلهم الى زوجاتهم وخطيباتهم . وعثر على قصاصات ورق كتبت عليها هذه القصيدة في جيوب الجرحى والقتلى .

وفي سنوات الحرب بالذات اطبقت شهرة الشاعر الكسندر تفاردوفسكي الآفاق . كان يتمتع اساسا بموهبة ملحمية . فهذا الشاعر المتحدر من الريف ، من صلب الشعب ، قد نظم قبل الحرب ملحمة «بلاد الاحلام» في موضوع اقرب الى الحكاية الاسطورية حول تطواف الفلاح

نكيتا مورغونوك . ويعرض الشاعر من خلال ذلك صورة التحول الاشتراكي الجذري الذي حدث في الريف في مطلع الثلاثينات . وفي الجبهة نظم تفاردوفسكي ملحمته الرائعة عن الجندي المحارب «فاسيلي تيوركين» ، وهي ملحمة حظيت باعجاب واعتراف الشعب بأسره . وتلمع فيها شذرات الحكم والامثال الشعبية الذكية والفكاهة الشائعة بين الناس ، وقد طعمها الشاعر باقوال من لهجة الجنود المتميزة . ويصور الشاعر بدقة سيكولوجية كبيرة وصدق واقعي طباع الشعب السوفييتي ومعنوياته العالية التي لا تضعف . قال الكسندر تفاردوفسكي في سيرة حياته عن هذا الكتاب انه «يتضمن شاعريتي الغنائية وآرائي الاجتماعية واغانيّ ونصائحي ونكاتي وفكاهتي واقوالي ، كما يتضمن حوارا اخويا وديا وملاحظات جاءت بالمناسبة» .

ومن اهم نتاجات تفاردوفسكي بعد الحرب الوطنية العظمى ملحمته الروائية الغنائية «الآفاق المتلاحقة» (١٩٦٠) التي تجسد العمل الهائل للشعب السوفييتي في بعث الاقتصاد بعد الحرب وتتحدث عن مشاريع البناء في سيبيريا وتستعرض تأملات واحاسيس هذا الشاعر الوطني . ان قصائد تفاردوفسكي وملاحمه المتسمة بعمق التأمل والتفكير تتناول طائفة واسعة من القضايا ، وفي مقدمتها مصير الشعب والطريق الذي سلكه نحو السعادة والجمال الروحي للمواطنين السوفييت والعلاقة بين الدولة والفرد والرسالة الاجتماعية للفنان وفنه والترابط بين التاريخ والعصر الحاضر . لقد غدا تفاردوفسكي بعد الحرب ابرز شاعر سوفييتي يتمتع بمنزلة اخلاقية ومعنوية هائلة ، وصار بمثابة «رائد الشعر السوفييتي» . وكان نموذجا ساطعا

للاستيعاب الخلاق للتراث الكلاسيكي ، فقد تشبع بتقاليد الابداع الشعبي الشفوي واخذ عن الشعراء العظام وكوّن من ذلك اسلوبا متميزا للغاية .

وفي الفترة التي اعقبت الحرب الوطنية العظمى تفتحت الطاقات الابداعية للشاعر المعروف ليونيد مارتينوف الذي بدأ يمارس الكتابة والنشر منذ اواخر العشرينات واصدر قبل الحرب سلسلة من الملاحم التاريخية الهامة ، لكنه لم يكسب شهرة واسعة آنذاك . وفيما بعد الحرب ، وخصوصا في الخمسينات ، قدم ليونيد مارتينوف كثيرا من القصائد الغنائية الفلسفية . وكان سمعه الرهيف ، كهوائي الالتقاط ، يتلقف انفاس المستقبل . ان قصائده المشبعة بالتورية والكناية والمحبوكة بروي مترابط متين والمتميزة بالسمات العصرية نصا وروحا ، والمشحونة بالنزعة الانسانية العميقة انما تتناول القضايا الاخلاقية التي تشغل بال الانسان المعاصر وتكشف بعين ثاقبة كل ما يحمله الزمن من جديد مفرح . ويتحدث الشاعر بعمق كبير عن «الاثر» الذي يخلفه الانسان في العالم ، عن كل خطوة يخطوها الانسان الى الامام ، نحو الخير والنور .

كان جيل الشعراء الذي دخل محراب الادب في الاربعينات والخمسينات يعيش بالاساس على انطباعات الحرب ومعاناتها . فان شعراء مثل ميخائيل لوكونين وسرغي ناروفتشاتوف والكسي نيدوغونوف وسرغي اورلوف وميخائيل لفوف والكسندر ميجيروف وبوريس سلوتسكي ودافيد صموئيلوف اجتازوا مدرسة الحرب القاسية عندما كانوا شبابا ، لكنهم احتفظوا بالنظرة الشاعرية الى العالم . واذا اضفنا الى هذه القائمة اسماء الشعراء دميتري كوفاليف وفلاديمير جوكوف ونيكولاي تريابكين

2-1225

نكون قد رسمنا بصورة تقريبية «خارطة» الشعر السوفييتي في اواسط القرن العشرين . الا ان هذا الجيل الذي كان فتيا في زمن ما صار يخلي المكان بسرعة لجيل آخر ، اخذ يبرز بوضوح على مسرح الستينات ونعني به جيل يفغيني يفتوشينكو واترابه من امثال اندري فوزنيسينسكي وروبرت روجديستفينسكي وغيرهما .

ومن المؤكد ان حديثنا عن الشعر السوفييتي يظل ناقصا اذا لم نتطرق ، ولو بايجاز ، لشعر الشعوب الشقيقة الاخرى في الاتحاد السوفييتي . فان قسط شعر هذه الشعوب في الثقافة الروحية للبلاد يزداد باطراد . وتجري في الاتحاد السوفييتي من زمان عملية مثمرة للتفاعل بين الآداب القومية وتأثر بعضها ببعض . وواضح ان الادب الروسي يغتني اثناء هذه العملية ايضاً . ان اسماء اكبر شعراء الجمهوريات السوفييتية الشقيقة معروفة ومحبوبة في كافة ارجاء البلاد . فقد منحت اوكرانيا الاتحاد السوفييتي شعراء رائعين من امثال بافلو تيتشينا ومكسيم ريلسكي وفلاديمير سوسورا وميكولا باجان . وتعتز بيلوروسيا وتفتخر بشاعريها ياكوب كولاس ويانكا كوبالا . كما قدمت جورجيا وارمينيا كوكبة من الشعراء اللامعين ، ومنهم تيتسيان تابيدزه وايراكلي اباشيدزه وايغيشي تشارينتس . وفي جمهوريات البلطيق كثير من الشعراء المبدعين . فالاتحاد السوفييتي بأسره يعرف جيدا الشاعر اللتواني ادوارداس ميجيلايتيس .

وبرز في القفقاس شاعران رائعان يلعبان اليوم دورا كبيرا في الشعر السوفييتي كله ، وهما ابن داغستان رسول حمزاتوف وشاعر بالكاريا كايسين كوليف اللذان تتشابك في نتاجهما بشكل فريد التقاليد الادبية الشرقية العريقة وروح

العصر الحية . ويقرأ الاتحاد السوفييتي كله قصائد حمزاتوف وكولييف مترجمة الى اللغة الروسية . ويستمع المواطنون باعين دامعة لاغنية «اللقالق» التي يتحدث فيها حمزاتوف عن الاخوان والآباء شهداء الحرب الوطنية العظمى .

ويحظى بشهرة كبيرة في الاتحاد السوفييتي نتاج الشاعر لقلميقي دافيد كوغولتينوف والشاعر البشكيري مستاي كريم . ويقدر جميع شعراء الجمهوريات الشقيقة تراث بوشكين وليرمونتوف وسائر اعلام الادب الروسي ويستوعبونه ويغترفون من مناهله .

ان هذا النوع من التآخي والتفاعل والترابط بين الآداب لم يكن بالامكان حتى مجرد تصوره في الازمان الغابرة . وعلى هذا النحو بالذات تتجلى قوانين المجتمع الاشتراكي الجديد .

ان الشعر السوفييتي وريث التقاليد الديمقراطية العظمى ، وهو يمثل ثروة روحية هائلة للشعب وكنزا ثمينا للجمال . وهو يخدم الشعب ويشاركه حياته ويرافقه دوما في المعترك ، ويرفع صوته عاليا للذود عن السلام ومكافحة خطر الحرب النووية . انه شعر متحرك نشيط يستجيب بسرعة لكل انجاز كبير ولكل حدث في حياة البلاد . وهو سجل فريد للاجيال ، سجل لتأملات ومشاعر المواطنين السوفييت . فلا عجب اذا كان الشعر في الاتحاد السوفييتي يحظى بتقدير رفيع وحب خالص .

الكسندر بلوك

(١٨٨٠ — ١٩٢١)

من ابرز الشعراء الروس فى القرن العشرين . ولد فى بطرسبورغ وكان ابوه استاذا للقانون فى جامعة وارشو وامه كاتبة ومترجمة . تخرج من كلية التاريخ واللغات فى جامعة بطرسبورغ (١٩٠٦) . وبدأ ينشر نتاجه فى الصحافة عام ١٩٠٣ . وكان من شعراء النزعة الرمزية الروسية ، لكن نتاجه تجاوز بعيدا اطار هذا التيار . كان شعره الناضج مفعما بحس الكارثة الاجتماعية المرتقبة وتوقع التغيرات «المذهلة» و«التمردات المنقطعة النظير» . وحقق بلوك عمقا كبيرا وشاعرية مرهفة فى موضوع الوطن وروسيا . وخلف الشاعر تركة ادبية هائلة تتكون من قصائد غنائية رائعة وملاحم ودراما وادبا اجتماعيا متميزا . وكان طريقه الابداعى كله من ديوانه الاول «قصائد عن المرأة الحسناء» (١٩٠٤) حتى ملحمتى «الاثنا عشر» و«الاسقوثيون» (١٩١٨) هو الطريق نحو الثورة ونحو ادراك حتميتها وعدالتها . ونعت مكسيم غوركى بلوك بالرجل الذى يتحلى «بالصدق غير الهياب» . وكان نتاج بلوك خاتمة تطور الشعر الروسى لفترة ما قبل ثورة اكتوبر . وفى الوقت ذاته مارس بلوك تأثيرا كبيرا على مصائر الشعر السوفييتى اللاحقة بوصفه واحدا من رواده .

حطم الخريف قيوده

أسير على درب مكشوف
والشجيرات المياسة تتمايل فى الريح
والصخور المحطمة تنبسط على السفوح
على طبقات شحيحة من تربة صفراء .

حطم الخريف قيوده فى الوديان البليلة
ورفع الغطاء عن مدافن الارض
لكن العناقيد الحمراء على اشجار الغبيراء
تلمع من بعيد كالفجر فى الارياف .

فرحتى تتراقص ،
ترن ، تزغرد بين الاشجار .
ومن بعيد يلوّح لى ، يناديني
ردنك المخرم الزاهى .

من الذى استدرجنى الى الدرب المطروق
وابتسم لى فى كوة السجن ؟
أهو المتسول يرتل المزامير
على درب الاحجار ؟

كلا ، أسير على الدرب وحيداً
فارفقى بقدمىّ أيتها الأرض ،
سانصت الى صوت روسيا الثملة
واستريح تحت سقف حانة .

وأغنى وأندب شبابى
المضيع فى بحر الخمور . . .
وأبكى على كآبة مروجك
فقد أحببت رحابك الى الأبد . . .

ما أكثر الذين يموتون منا شبابا
طلقاء لم يذوقوا طعم الحب . . .
افرشى لنا مأوى فى رحابك الشاسعة !
فهل نستطيع أن نعيش ونبكى بدونك ؟ !

١٩٠٥

الغربية

الهواء الساخن فى ليل الملاهي
هائج كأنفاس الوحوش
وروح الربيع المفسِدة
تصول وتجول بصيحات سكرى .

فوق غبار الأزقة البعيدة
فوق ضجر فيلات الضواحي
يطل بقسماط المخبز ككسرة ذهبية ،
ويتناهى بكاء طفل .

وراء حاجز المرور ، بين السواقي اليابسة
يلتهمون ما فى القدور
ويغازلون النساء كل مساء
ويشاغلونهن بالنكات .

صرير مجذافين ينبعث فوق البحيرة
ويتعالى عويل امرأة
وفى السماء يتململ البدر بلامبالاة
فقد تعود على كل شىء .

كلَ مساء ينعكس فى قدحي
صديقي الوحيد
هامدا منسحقا ، مثلي ،
بالنسائل السحرى اللاذع .

حول الموائد المجاورة
يتسكع الخدم الناعسون
ويصيح السكارى محتقني العيون :
«الحقيقة فى الخمر !»

كلَ مساء ، فى ساعة محددة
(ربما كان ذلك مجرد حلم)
أرى عبر النافذة الضبابية
فتاة رشيقة مسربلة بالحرير .

تمر ببطء ، وسط السكارى ،
وحيدة على الدوام
يفوح منها العطر والضباب
وتجلس قرب النافذة .

تهب أساطير القرون
من ثيابها الحريرية المياسة
وقبعتها الموشحة بالسواد
ويدها النحيفة المثقلة بالخواتم .

أتطلع الى الوشاح القاتم
وأنا مقيد بوشائج غريبة
فارى شاطئا مسحورا
وألمح أفقا مسحورا .

كُلفتُ بحفظ أسرار خفية
وعُهدَ اليّ بشمس الغير
وتشربت جوارحي
بالنبيذ اللاذع .

القبعة الموشحة بالسواد
تتراقص فى دماغي
والعينان الزرقاوان العميقتان
تزدهران على الشاطئ البعيد .

فى فؤادي كنز خبىء
مفتاحه عندى أنا وحدى !
انت ، محق ايها الغول الثمل !
فأنا أعرف أن الحقيقة فى الخمر .

١٩٠٦

° ° °

الربيع بلا نهاية ولا حدود
والاحلام بلا نهاية ولا حدود !
هذه أنت ، أيتها الحياة ، اتقبلكِ !
وأستقبلك بجعجعة التروس !

أتقبل الخيبة
وأرحب بالتوفيق !
فلا عيب فى مكنون البكاء المسحور
ولا فى خفايا الضحك والسرور !

أتقبل المجادلاتِ التى لا تكل طوال الليل
والصباحَ عبر ستائر النافذة القاتمة
كى يستثير الربيع
بصرى الملتهب
ويبعث النشوة فيه !

أتقبل الأرياف الخالية
وآبار المدن على الأرض
ورحاب الفضاء اللماع
وجهود العبيد المتعبين !

أستقبلك عند العتبة
والريح تعصف فى جدائلك المتلوية كالافاعى
وشفتاك الباردتان الملتصقتان
عليهما اسم الله .

لن ألقى ترسي أبداً
فى هذا الخصام . . .
ولن تكشفي أبدا عن كتفيك . . .
لكن الأحلام النشوى تحلق فوقنا .

أتطلع اليك وأخاصمك
حاقداً ، لاعناً ، محباً ،
وعلى أية حال ، أتقبلك
لآلامي ، لهلاكى !

١٩٠٧

روسيا

من جديد ، كما فى العصر الذهبى ،
تهتز ثلاثة اغطية بالية على ظهور الجياد
وتنغرز اضلاع العجلات المزخرفة
فى بطن الدرب المهشم . . .

يا روسيا ، يا روسيا المعدمة ،
أكواخك . الرمادية
أغانيك المجنحة كالريح —
دموع الحب الاولى ترقرق فى عينيّ !

لا أجيد التأسف عليك ،
أحمل صليبى بحرص وعناية . . .
فامنحي جمالك المتمرد
لأي ساحر تشائين !

فمهما استهواك وخادعك
لن تهلكي ولن تموتي ،
وستضفي الهموم غلالة من الحزن
على قسماتك الرائعة . . .

لا ضير فى اضافة هَم الى هم ،
فهدير النهر يشتد بكل دمعة جديدة ،

لكنك باقية على حالك بغاباتك وسهولك
بمنديلك المخرم وحاجبيك . . .

يغدو المستحيل ممكناً
والطريق الطويل قصيراً
عندما تومض كالبرق من بعيد
نظرة من حاجبيك
وتصدح موشحة بكآبة السجون
أغنية الحوذي المكبوتة ! . .

١٩٠٨

° ° °

صورتك الوضاءة فى اطارها البسيط
على مكتبي
انستني الأمجاد والمآثر والبطولات
على أرضنا الثكلى .

وعندما ازف الميعاد وهجرتني
ألقيتُ فى وجه الليل بالخاتم المنشود .
أسلمتِ مصيرك لغيري
فنسيتُ محياك الرائع .

مرت الأيام سراعا ، كسرب نحل لعين . . .
غرقت فى الخمرة والأشواق
وتذكرتك أمام الهيكل
ونادبتك لتعودي كما أنادي شبابي . . .

نادبتك فلم تجيبي
انهمرت دموعى ولم تلتفتي
لممتِ أطراف معطفك الأزرق الحزين
وانصرفت ملفعة بالليل البليل .

لا أدرى ، يا حبيبتي ،
أين وجدت ملاذا لكبريائك . . .
أغط فى النوم وأراك
فى معطفك الازرق ملفعة بالليل البليل . . .

لم أعد أحلم بالحنان والأمجاد
انتهى كل شىء ، وانقضى الشباب !
ورفعت بيدي من مكتبي
صورتك فى اطارها البسيط .

١٩٠٨

* * *

مهداة الى ف . بياست

ما أقسى ايار ولياليه البيضاء !
طَرق يتوالى دوما على الباب ،
ويهيب بي : اخرج !
ضباب أزرق وراءنا
وأمامنا الموت والمجهول !
عيون النساء يشع منها الجنون
والوردة المدعوكة دوما على الصدر !
انهض ! واغرز حرابك فى جسدي
خلصني من اشواقي !

ما أحلى الرقصة الملتهبة
بدائرة عريضة فى الغابة
ما ألذّ النبيذ وما أحلى الحديث مع صديق عزيز
ما أجمل جدل الاكاليل الزاهية
وتوزيع الزهور على صديقات الآخرين
ما أروع فيض المشاعر والأحزان والسعادة
والأروع منه
ان تدفع المحراث الثقيل على ندى الصباح !

١٩٠٨

* * *

أبناء السنين العصيبة
لا يتذكرون بداية الطريق .
لكننا نحن أبناء السنين الرهيبة فى روسيا
لن ننسى شيئا على الاطلاق .

يا سنوات الدمار والرماد
ماذا تحملن ؟ جنونا أم آمالا ؟
على الوجوه انعكاسات دموية
من أيام الحرب وأيام الحرية .

الوجوه بكماء
هدير النواقيس اغلق الشفاه
وفى الافئدة المنتفضة فيما مضى
خواء القبور .

فلتنعق الغربان السوداء
فوق مثوانا الأخير ،
يا الهي اجعل من هم أفضل منا
يرون ملكوتك .

١٩١٤

فلاديمير مياكوفسكى

(١٨٩٣ — ١٩٣٠)

ولد في قرية باغدادي في جورجيا . واعتبارا من عام ١٩٠٢ درس في الثانوية في مدينة كوتاييسي ثم في موسكو التى انتقلت اليها عائلته بعد وفاة والده . في عام ١٩٠٨ ترك الثانوية وكرس نفسه للعمل الثورى السرى . وانتسب الى حزب العمال الاشتراكى الديموقراطى (البلشفى) في روسيا وهو في الخامسة عشرة من العمر . وتعرض للاعتقال ثلاث مرات . وفي عام ١٩٠٩ اودع السجن في زنزانة انفرادية . وهناك بدأ ينظم الشعر . ونشر عام ١٩١٢ أول قصيدة له بعنوان «الليل» . ويتناول الشاعر موضوع الوجود المأساوى للانسان في ظل الرأسمالية في أكبر مؤلفاته قبل الثورة ، وهى تراجيديا «فلاديمير مياكوفسكي» وملاحم «سحابة في سروال» و «الناي — العمود الفقري» و «الحرب والسلام» . وكان الشاعر واثقا من اقتراب الثورة . وقال مياكوفسكي عندما اندلعت ثورة اكتوبر ١٩١٧ «هذه ثورتي» . وقد كرس كل موهبته الشعرية لخدمة الثورة . وغدت ملاحمه الغنائية الروائية «فلاديمير ايليتش لينين» (١٩٢٤) و «رائع للغاية» (١٩٢٧) و«بأعلى صوتي» (١٩٣٠) نموذجا للواقعية الاشتراكية في الشعر . وفي «أشعار عن الباسبور السوفييتي» ، وغيرها من الأشعار المعروفة نجد مياكوفسكي وطنيا متحمسا لبلاد السوفييت .

مقطع من ملحمة

«رائع للغاية»

إني
طفتُ
بالكرة الأرضية
كلها تقريبا
انّ الحياة
جميلة
والوجو جميل
ولكنها فى دوامتنا
الهائجة الثائرة
أفضل كثيرا .
كالأفعى
يتلوى الدرب
والبيوت
تحاذيه
ان هذا الدرب
لي .
وهذه البيوت
لي أيضا
المحلات

واقفة
فاغرة نوافذها
والأطعمة
فى النوافذ
خمور
وفواكه
وشاش
يحمي من الذباب
الجبن
نظيف
والمصابيح
تتلألأ
«أسعار
انخفضت»
بدأ ينبت
ريش
جمعيتي التعاونية .
نلقى بالقرش
يرن رنينا
هذا رائع للغاية
انحنيت بصدري
على أكوام الكتب
فى الواجهات
يظهر اسمي الكامل
فى ركن الشعر .

كم أنا سعيد . .
ان هذا
هو عملي
ينضم الى
كدح جمهوريتي .
أثارت
عجلات السيارات
غبارا فى الطريق
يمضى نوابي
فى سيارتي .
الى الجلسة
فى الدار الحمراء .
اجلسوا
ولا تغفلوا
فى مجلسي ، مجلس سوفييت موسكو
وجوه كالورود
والمسدسات
صفراء .
هذه الميليشيا
لي
وتسهر على
حمايتي
تشير بعصا
فأتجه
الى اليمين

هذا رائع للغاية
فوق رأسي
تمتد سماء
كالحرير
الأزرق
لم أشعر
طيلة عمري
بأن كل شيء حسن
الى هذه الدرجة
الغيوم الناتئة
اخترقها الطيارون
اولئك الذين
يعملون من أجلي .
انني
سمقت كالشجرة
سوف يوجهون
الضربة القاصمة
حين تبدأ المعارك
عيناي
على الجريدة
أحسنتم صنعا يا رفاقي فى فيينا
انهم يضربون
بالركب
ارداف
البرجوازيين

انهم يضرمون النار
داخل المحكمة
هذا رائع للغاية
والحريق
يجتاز
خشخشة الأوراق . .
والمدعون العامون
يرتجفون
هذا رائع للغاية
ان الافتتاحية تمتلئ
ببقع
من التهديدات
كالجرب
فلتغص بها حلوقهم
هل يهددون ؟
حسنا
تمر
الكتائب
أمام عيني
والقوات
تقرع
أجناب
الطبول
تدب الأقدام
قوية

وترتفع الرؤوس
عالية
والمدافع
يجرونها
ومواكب الحرس تمشى بالنجوم الحمراء
انني اندمجت
مع النشيد
واتسقت خطاي مع الايقاع
أعـ
ـدا
وكم
هم
أعـ
ـدا
ـني
هل يتدخلون ؟
حسنا
سوف نسحقهم
سحقا
أذرع التحكم الميكانيكية
تتنفس
دخانا
فاحرص أن يكون الهواء نقيا
ان مصانعي
تتنفس

«تـ ـنفـ ـفسات»
انفثي بخارك
يا ماكينتي
انها تسرع
لا يتوقف صوتها
أبدا . . . أبدا . . .
أكثر من المزيد المستطاع
من قماش «الشيت»
لبناتي
الكومسموليات
تنفست
النسائم
فى حديقة مجاورة
مشيت
فى العطور
كم
هذا
رائع . . .
وراء المدينة
قرى
وفيها يعيش
الفلاحون
لحاهم كثة
مثل المكانس .
الآباء

جالسون
ولكل منهم ذكاؤه .
هذا يذرع الأرض
انه سيؤلف قصيدة .
فى كل أنحاء النجع
يحبون العمل
منذ الصباح الباكر .
يبذرون
يصنعون
الخبز
لي .
يحلبون
يحرثون
يصيدون الأسماك . . .
ان جمهوريتنا
تشيد
تنهض
وهناك بلدان
أخرى
فى المائة من عمرها
وتاريخها
مثل فم التابوت
اما بلادي
فانها
صبية

اخلقي
جربي
واصلي الابداع . .
ان البهجة تتدفق
فهل نغترف
لكم منها ؟
ان الحياة رائعة
تملك الاعجاب
فلتزدهر
الى مئة سنة
دون عجز
فليواصل نشاطنا نماءه
سنة بعد الأخرى
ايتها المطرقة
ايتها القصائد
امتدحي
أرض صبوتي وغرامي .

١٩٢٧

سرغي يسينين

(١٨٩٥ — ١٩٢٥)

ولد في قرية كونستانتينوفو بمحافظة ريازان حاليا في عائلة فلاحية . انهى المدرسة الريفية من أربعة صفوف ومدرسة المعلمين الدينية . وفي عام ١٩١٢ انتقل الى موسكو وعمل في احدى المطابع وانضم الى حلقة سوريكوف الأدبية الموسيقية . وعندما وصل الى بتروغراد (١٩١٥) نشر قصائد في المجلات وتعرف على بلوك والشعراء المشهورين الآخرين . وبصدور ديوانه الأول «رادونيتسا» (١٩١٦) اكتسب شهرة أدبية واسعة . وأثارت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى عند الشاعر حماسة ابداعية كبيرة ، مع أنه تقبلها «بميلان فلاحي» على حد تعبيره . واعتبارا من اذار (مارس) ١٩١٨ أقام الشاعر في موسكو من جديد ، وصار واحداً من مؤسسي جماعة التصويريين . وتجلت القطيعة بين يسينين والعالم القديم خصوصا في محاولات رسم صورة ادبية للينين بالوسائل الشعرية («ربان الأرض») وفي نتاجات عام ١٩٢٤ — «العودة الى الوطن» و«روسيا السوفييتية» و«روسيا الراحلة» . وفي ملحمتي «أنشودة الستة والعشرين» (١٩٢٤) و«آنّا سنيغينا» (١٩٢٥) أبدع يسينين صورا ساطعة للمناضلين في سبيل السلطة السوفييتية . ومن النماذج الشعرية الرفيعة ديوان «نغمات فارسية» (١٩٢٥) وقصيدة «رسالة الى أمي» وقصيدة «اهداء الى كلب كاتشالوف» وكثير غيرها مما يجعل يسينين شاعرا عالميا .

الخميلة الذهب

عن الكلام كفت الخميلة الذهب
بلغة البتولا وبنبرة الطرب
وهذه اللقالق التى تطير فى نصب
ليس الأسى يملكها لأجل ذاهب ذهب

فيما الأسى وكلنا فى هذه الدنيا غريب
يمر بالمغانى ثم يمضى لا يؤوب
يأسى لمن يرحل ، حقل قنب يبذره الوضاء
يسطع فوق بركة زرقاء ! . .

وقفت بين هاتيك الحقول العارية
والريح عنى فرقت تلك اللقالق نائية
عن الشباب الهانئ امتلأت بالخواطرِ
لا تعترينى ترحة لما طواه غابرى

ولست نادما على السنين فرت من يدي
ولا على فوت الربيع وارتحال روحه البنفسجى
توهجت فى الروض من شجيرة الغبيراء شُعَل
ما دفئها بقادر الى سواها أن يصل

تبقى عناقيد الغبيراء ، ولن تحترقا
والعشب بالصفرة لن يموت ، لن يختنقا
ومثلما الأوراق من أشجارها تسيل فى سكون
ينذرف الكلام من فؤادي الحزين !

يشتت الزمان كلماتي بالعواصف النكباء
وبعد حين ، يجمع الشتيت كومة ، لكن بلا غناء
قولوا اذن قد كفت الخميلة الذهب
عن همسها اللذيذ ، عن حديثها الملىء بالطرب .

ارتحال الشباب

أنا لا أندم ، لا أبكى ، ولا أستنجد
فكما عن شجر التفاح تمضى غيمة ، كل سيمضى بددا
وسيكسوني من لون ذبولى عسجد
أنا لن أرجع شابا أبدا

لا . . ولن تخفق يا قلبي كما اليوم بصدري
بعد أن يلمسك البرد بأنفاس المغيب
وطن الهفهاف من نسج البتولا . . لست تغرى
حينذاك النفس أغشى حافيا فيك الدروب

وقليلا ما ستورى وهجا فوق الشفاه
مسترقا يستجير القلب يا روح التجول

يا شبابي . . يا فقيدا غاضرا . . ويح الحياة
يا فيوض الحس يا لمحا وثيبا يتنقل

بأماني جنحت اليوم للتقتير أكثر
يا حياتي . . لم تكوني غير حلم يتبخر
وكأني فى ربيع كنت والأفاق فجر
امتطى ظهر جواد لونه الوردى سحر

وارد انسانها فى هذه الدنيا الزوال
ونحاس الورق الهاوى من القيقب* سال
فليبارك ابدى الملكوت
كل من يقبل كي يزهر حينا . . ويموت .

رسالة الى أمّي

عجوزى . . هل تُرى أنت على قيد الحياة ؟
أنا ما زلت حيا . . فاقبلي مني السلام
على دارك ، فلينهل عذب الوقع يا أماه
ضياء الأمسيات كما الرهام** .

---

* القيقب — نوع من الشجر .
** الرهمة — المطرة الضعيفة الدائمة . ج : رهام ورهم .

صحابي كتبوا أنك من أجلى حزينة
وأن القلق المضنى يعذبك ولكن تكتمينه
وأنك تخرجين بثوبك البالى العتيق
وعيناك مثبتتان فى ذاك الطريق .

وفى عتمة ذاك الغسق الأزرق
تراءى لك دوما صورة لا تتغير
«شجار شب فى الحانة أخرق»
«وفيه ، اغمدوا فى قلبي خنجر»

فيا أمي الحبيبة . . اهدئي خلدا
فما ظنك الا خيط وهم
فاني لست سكيرا الى هذا المدى
بحيث أموت قبل لقاء أمّي .

أنا ما زلت يا أمّي كما كنت رقيقا
ولا يخفق فى قلبي سوى حلمي
بأن أفلت من جاثم أحزاني طليقا
وأرجع كي أعيش ببيتنا الهادئ يا أمّي .

انني عائد لما حديقتنا يد السحر
تمد غصونا زمن الربيع بأزهر النبت
وأرجوك بالا توقظيني مطلع الفجر
كما قبل ثمانية من الأعوام كنت !

وما قد فات من أحلامنا لا توقظيه
وما لم يتحقق ، فى فؤادي لا تثيريه
نصيبي كان مكتوبا على قلبي يعانيه
فأطعم علقم التعب ومر الفقد والتيه .

كذلك ليس من داع لتعليمي الصلاة
فلا رجعة للماضي الذى جزناه
فأنت العون لي وحدك ، أنت لخافقى سلواه
ووحدك أنت نوري العذب يا أماه .

الا فأنسى اذن ما كان اضناك
ولا يملأك يا أمي من أجلي أساك
ولا تمشي وأنت بثوبك البالى العتيق
وعيناك مثبتتان فى ذاك الطريق .

فتاة خراسان

هناك بأرض خراسان باب
عليه نثار زهور بليلة
وحيث تقيم فتاة كعاب
هناك بأرض خراسان باب
عدمت الى فتحه كل حيلة .

يداى تفيضان بالقوة الكافية
وعسجد شعري يسيل سيولة
وصوت الكعاب هو الرقة الحانية
يداي تفيضان بالقوة الكافية
ولم أستطع فتح باب الجميلة .

وما حاجة الحب أذهب فيه
أغنى ولمن ؟ فى الليالي الطويلة
اذا لم تغر فى الهوى «ش — ج — نيه»
وان لم أصب فتح باب الجميلة
فما حاجة الحب اذهب فيه ؟

لعودي لروسيا اتى موعدي
ترى هل أغادر فارس حقا ؟
وهل لن أراها الى الأبد ؟
فحبى يا وطني فاض شوقا
لعودي لروسيا اتى موعدي .

وداعا فتاة العيون الكحيلة
وان لم أصب فتح بابك شوقا
هداياك لي لهفات جميلة
أرتلها فى بلادي توقا
وداعا فتاة العيون الكحيلة .

الريح الفضية

الريح الفضية تصفر تصفر
بحتها كحفيف حرير
يحدثه للثلج صرير متكسر
وانسقت أفكر خلل شعوري . . .

فليتراكم فوق نوافذنا عفن ورطابة
ما أنا بالنادم او بالمحزون
انى أعشق هذى الدنيا الخلابة
أعبدها وكأني شاب مفتون .

ترمقني غانية بالنظر وتبتسم
أطرب ، أهتف ما أجمل كتفيها
او تعدو بي عربة خيل فى درب متلعثم
تمضى نحو الأفق بعيدا وأنا فى كفيها .

آه يا حظي وسعادة خلدى
الدنيا لا تهوى غير السعداء
والحظ يفر الى الأبد
ممن يذرف دمع شقاء .

فلنتقبل دنيانا كيف تكون
وبما تحمل للانسان وللبشرية

ولعل لهذا تصفر كالمجنون
فوق الغابة هذى الريح الفضية

يا «ش — ج — نيه»

يا «ش — ج — نيه» محبوبتي يا «ش — ج — نيه»
ترى لانني اليك وافد من الشمال
يطيب لي الحديث عن مزارع الشمال
وقمحها يموج فى سنا القمر
يا «ش — ج — نيه» محبوبتي يا «ش — ج — نيه»
ترى لانني اليك وافد من الشمال
وبدرنا بمئة من المرات أكبر
مهما تكن «شيراز» حلوة ، تلوح أصغر
من أن تقاس بجواء* ريزان
ترى لأنني اليك وافد من الشمال
يطيب لي الحديث عن مزارع الشمال
يسيل لون قمحها فى خصلات شعري
لو شئت لفي بالانامل الرقاق شعري
ولا تخافي . . انني لن يعتريني ألم
يطيب لي الحديث عن مزارع الشمال
وقمحها يموج فى سنا القمر

* الجواء — الشاسع من الوديان .

لو شئت ان تريه ، فانظري لخصلي
حبيبتي . . وابتسمي . . وامتلئي بالجذل
لكن تجنبي ان توقظي من ذكرياتي
عن قمحها يموج فى سنا القمر
يا «ش — ج — نيه» . . محبوبتي يا «ش — ج — نيه»
هناك فى الشمال عذراء كحيلة
طلعتها تشبه طلعتك الجميلة
لعلها مشغولة التفكير بي
يا «ش — ج — نيه» . . محبوبتي يا «ش — ج — نيه» .

بوريس باسترناك

(١٨٩٠ — ١٩٦٠)

ولد فى موسكو فى عائلة اكاديمى فى الرسم . تخرج من الثانوية ثم من جامعة موسكو (١٩١٣) . فى صيف ١٩١٢ درس الفلسفة فى جامعة ماربورغ (المانيا) . ومارس الموسيقى ست سنوات وكان متأثرا بالملحن سكريابين . نشر اولى قصائده فى الصحف عام ١٩١٣ . وفى عام ١٩١٧ صدر له ديوان غنائى «الحياة اختى» ، واحتل بهذا الديوان مكانة بين اكبر الشعراء . ومن مؤلفاته فى العشرينات ملحمتا «عام ١٩٠٥» و«الليفتينانت شميدت» والرواية الشعرية «سبيكتورسكى» . ثم اصدر الشاعر ديوانى «الميلاد الثانى» (١٩٣٢) و«فى القطارات المبكرة» (١٩٤٤) . وتكلل طريق باسترناك الشعرى بسلسلة قصائد «عندما يتحسن الطقس» . واثرت انغام باسترناك وصوره الادبية وكناياته على عمل الكثير من الشعراء السوفييت . ثم ان باسترناك مترجم بارع . قد ترجم مؤلفات شعراء جورجيا وتراجيديات شكسبير وملحمة غوته «فاوست» .

حلم

فى غسق النوافذ الزجاج قد حلمت بالخريف
بالأصدقاء ، أنتِ بينهم ، فى زحمة المهرجين
ومثل صقرٍ شرب الدماء
هوى من السماء قلبى فوق راحتك .
مضى الزمان . . شاخ ، علّه الصمم
والفجر بالحرير فضّض الأطر
على زجاجها ألقى من البستان
دموع سبتمبر القانية الدماء .
لكنما الزمان قد مضى ، وشاخ
تهرأت مقاعد الحرير ، كالجليد الرخو ، طقطقت
وفجأة ادرككِ السكوتُ ، كنتِ صاخبة
وغاب حلمي كالزنين اذ يذوب فى المدى .
فتحت عيني ، كان الفجر كالخريف
مظلماً ، والريح تنأى ساحبة
— كعربة تجر ذيلا راكضا من مطر الدريس —
سربا راكضا من البتولا فى السماء .

١٩١٣

. . .

فبراير . . سآتى بالحبر وأبكي !
ولأكتب عن فبراير منتحباً
ما يقي الوحل الصاخب
متأججا بسواد الربيع .
وبيضعة قروش استئجر عربة
وعبر رنين الأجراس ، نداء العجلات
امضي الى هناك ، حيث السيول
أصخبُ من الحبر والدموع .
حيث الغربان كالكمثرى المحروقة
مدلاَّة من الأشجار بالألوف
تهوى الى البرك ملقيةً
بالأسى الذابل فى قرار العيون .
ومن تحته يلوح سواد العراء
والريح قد خدَّدتها الصيحات
وحين تُنظَم الأشعار صدفةً
تصدق ، وهى تولَد انتحاباً .

١٩١٢

الندى الثلجى

حلَّ اوان تساقط الأوراق الحزين
وأقلعت آخر أسراب الأوز

ومع ذلك لا داعى للحزن
فعيون الخوف تبالغ فى التقدير .
فلتكن الريح ، وقد هدهدت الغبيراء ،
أخافتها قبل النوم
لا بأس ، خدَّاع ترتيب الكون
كحكاية سعيدة النهاية .
ستصحو فى غدك من السبات
واذ تطل على الآماد الشتوية
ستقف كالمبهور مسمّراً
عند مضخة الماء من جديد .
ومن جديد يهوِّم الذباب الأبيض
وترى الأسقف ، والشيخ المتنكر
والمداخن والغابة الخطلاء
مغطاة بأزياء التمثيل .
كل شىء تجمد دفعة واحدة
اغمد طاقيته حتى العينين
وكقط وحشى متسلل
يتلصص خلف الأغصان .
وتُوغلُ قُدُماً يحدوك الشك
والدرب يغوص ويطفو فى الخور
هنا قصر الندى الثلجى ذو القباب
والشبك الخشبي على الأبواب
خلف ستار الثلج الكثيف
جدار بيت الحارس يقوم

والطريق ، وحدُّ الغابة
ثم تلوح الغيضة من جديد .
الصمت مهيب
مؤطّر بالخشب المخروط
يشبه رباعية أشعار
عن ملكة نائمة فى تابوت .
لمملكة السكون البيضاء
اذ تدفع القشعريرة فى الخيال
أهمس بخفوت : «لك الثناء
أكثر مما نسأل تعطين» .

١٩٤١

ليلة شتاء

تزويع الثلوج فوق الكون
لغاية المدى .
وشمعة تضىء فوق طاولة
تضىء شمعة .
ومثلما فى الصيف اسراب الهوامِ
ترتمي فى النار
تهافتت على الاطار
من الفناء ندف الثلوج .

على الزجاج ترسم الثلوج
اسهماً ، دوائر
وشمعة تضىء فوق طاولة
تضىء شمعة .
على ضياء السقف
ترتمي الظلال :
تشابك اليدين والساقين
تشابك المصير .
وسقط الخفّان
فوق الأرض بارتطام
والشمع سال أدمعاً
تساقطت على الفستان
وفى ظلام الثلج غاب كل شىء
فى الظلمة الشائبة البيضاء
وشمعة تضىء فوق طاولة
تضىء شمعة .
هبّت على الشمعة دفقة
ولهب الاغراء ، كالملاك
مدَّ الجناحين ، تعانقا
كأنما صليب .
تزويع الثلوج طول الشهر فى فبراير
وكم من مرةٍ هناك
تضىء شمعة من فوق طاولة
تضىء شمعة .

١٩٤٦

نيكولاى تيخونوف

(١٨٩٦ — ١٩٧٩)

ولد فى بطرسبورغ فى عائلة حرفى . انهى مدرسة التجارة فى عام ١٩١١ ثم خدم فى مكتب تجارى . واعتبارا من عام ١٩١٥ شارك فى الحرب العالمية الاولى فى فوج الخيالة . وفى ربيع ١٩١٨ تطوع للخدمة فى الجيش الاحمر وشارك فى محاربة قوات يودينيتش المعادية للثورة فى ضواحى بتروغراد . وتشكل بطولات الحملات الحربية والرومانسية الثورية للحرب الاهلية اساس ديواني الشاعر الاولين «العصابة» و«الجعة» (١٩٢٢) . واثرت قصائد تيخونوف ، ومنها «انشودة الظرف الازرق» و«المسامير» ، تأثيرا كبيرا على تطور الشعر السوفييتي . وابان الحرب الوطنية العظمى اقام تيخونوف وعمل في لينينغراد المحاصرة . ونظم ملحمة «كيروف معنا» والف ديوان «عام اللهيب» وكثيرا من الكتب الاخرى الشعرية والنثرية . وكان تيخونوف شخصية اجتماعية بارزة وترأس اللجنة السوفييتية لانصار السلام .

° ° °

النار والحبل والرصاصة والفأس
تسير خلفنا كعبيد طيّعين ،
وفى احشاء كل قطرة طوفان ،
الجبال تنمو من الصخور الصغيرة ،
والغابات تمد سواعدها السوداء
عبر عيدان تدوسها الأقدام .

الباطل يأكل من صحوننا
يشرب من كؤوسنا ،
والنواقيس تدق كالمعتاد ،
ذابت النقود ،
فلا وزن لها ولا رنين .
والأطفال لا يخافون الموتى .
فى ذلك الزمان
تعلمنا أولى الكلمات ،
كلمات رائعة
مرة
قاسية .

١٩٢١

° ° °

لم تعد أيدينا تمتد بالصدقة للمتسولين
ولا تلفع أنفاسنا البحر بغلالة مالحة ،
لم تعد شفاهنا ترتشف نور الفجر
لا نشترى بالنقود النحاسية الصدئة
ثمرا فى حلة من ذهب .

السفن تعرج علينا بالصدفة ، بالصدفة
وبحكم العادة تحمل الينا القطارات الأحمال .
لا تنادِ البشر فى أراضيّ
والا سينهض الموتى من القبور .

كل ما حولنا مستباح مستهان .
السكين المثلومة لا تصلح لشىء ،
وبهذه السكين العادية المثلومة
مزقنا صفحات الخلود .

١٩٢١

المسامير

امتص بهدوء آخر أنفاس الغليون
ومسح ابتسامته خالى البال .
«اصطفوا ! الى الأمام سر !»
تعالت كلماته وحفت خطواته جافة كالحطب .

اصطفوا من جديد بقامات منتصبة :
«نقلع فى الثامنة . وجهتنا الشرق .

أكتبوا لزوجاتكم وأطفالكم وأهليكم
فلن نعود الى هنا بعد الآن .

صيتنا سيذيع ولن نعود» .
«أمرك يا سيدى — لا يلين العود» .

الشمس تعانق المياه
والبحّار الباسل يحملق فيها :

«لا فرق فى أى بقعة نموت
السقوط فى الماء سكون فى الهبوط» .

وطرق مسمع الأميرال عند الفجر :
«نفذنا أمركم ، لم ينجُ أحد»

ما أعظم هؤلاء الرجال . الأشداء
لو صنعنا منهم مسامير لاجتزنا بها كل عقبة كأداء .

١٩١٩ — ١٩٢٢

برزخ بيريكوب

النجوم تتدحرج ماسة أثر ماسة ،
والنسيم انزوى فى الاجمات ،
والبندقية على الكتف ،

والقناع الواقى من الغازات ،
والخبز كسرة لا تغنى من جوع .

بستان الكرم يسبح فى الضباب ،
ولا ننام الليل منذ أربعة أعوام ،
الجوع ينهشنا والنار والدخان ،
وهل للجنود واجب سوى تنفيذ الأوامر ؟

ينصبون المصائد والكمائن
للذئاب الحمراء التى تصول
تثلمت الحراب وتكسرت أعقاب البنادق
والحبل على الرقبة .

مثار النزاع هو البحار والجبال والنجوم
نخطو خطوة ونرتد خطوة ،
وانهالت الكواسر من أعالى الجبال
وفرشت بساطا من الأجساد على بحيرة سيواش

الموتى يخطون خطوة الى الأمام
قبل أن يخروا صرعى ،
القول الفصل ليس للقنبلة والرصاصة ،
فلن يرغمنا أحد على الانسحاب .

أطفالنا ظلوا دون رعاية ولا معين ،
أطفال الكارثة الكبرى
ديارنا مرمية على بقايا الدروب المهشمة
جائعة ترتعش من البرد
وتتلظى من العطش .

الشمس والنعيم وراء الجبال ،
ربما ذلك سراب ، لا فرق .
عندما يتعالى صوت الآلاف
ترتعش الأعاصير خوفا منه .

انحسر القمر وراء السحب
كعين متدحرجة صفراء
وأشرقت الشمس
على حرابنا المحطّمة الملطخة بالدماء .

الدلفين يرقص بعيدا فى الماء
والنوارس تهدهدها الأمواج
والسفن الرمادية الطويلة
تستدير نحو البسفور .

رقدنا تحت الأشجار ، وعلى العشب ، قرب الصخور
ننتظر النوم
بلا دماء لأول مرة ،
لأول مرة بعد أربعة أعوام . . .

ورأينا فى المنام
ما لا تراه العين فى مائة عام .
ما لا يكفيه الحديث
ولا تحيطه الأناشيد !

١٩٢٢

ادوارد باغريتسكى

(١٨٩٥ — ١٩٣٤)

ولد ادوارد باغريتسكى (واسمه الحقيقى دزوبين) فى عائلة متوسطة الحال فى اوديسا . تعلم فى المدرسة الثانوية العلمية وفى دورة المساحين . انضم الى حلقات الشباب الادبية ونشر اشعاره فى حوليات اوديسا اعتبارا من عام ١٩١٥ . شارك فى الحرب الاهلية حيث كان فى احد فصائل الانصار الخاصة . فى عام ١٩٢٠ عمل فى وكالة الانباء الروسية الجنوبية . ونظم قصائد سياسية كفاحية ومنشورات ولافتات . فى عام ١٩٢٥ غادر اوديسا وانتقل الى موسكو . ونظم ملحمة رائعة بعنوان «تأملات عن اوباناس» سجل فيها مشاهد الحرب الاهلية فى اوكرانيا . وتدور الملحمة حول مصير فلاح حاول فى فترة الحرب ان يظل محايدا بين المعسكرين المتناحرين . ان قصائد باغريتسكى الرومانسية الغنائية الزاهية وملاحمه التى تتناول موضوع التوارث بين الاجيال الثورية منشورة فى دواوينه «الجنوب الغربى» (١٩٢٨) و«المنتصرون» و «الليلة الاخيرة» (١٩٣٢) . وكان باغريتسكى المعلم المحبب لدى الشعراء الشباب .

صياد العنادل

صياد العنادل ، ما أصعب مهنته !
لا بد أن يعرف عادات الطيور
ويتذكر أوقات الهجرة
ويقلد مختلف الأغاريد .

لكنّ ديديل الذى يجوب الدروب
وينام الليل عند الاسيجة
مرح للغاية
فهو يغني ويصطاد الطيور .

العندليب يغرد
وسط العناقيد الرطبة
وعلى الصنوبرة تتناغىَ الشحارير
والحسون يترنم على البتولا .

ويخرج ديديل
من مخلاته
ثلاثة نايات
لكل طائر ناي .

ينفخ فى ناي البلسان
فيصدح هذا الناي

ومن بين عناقيد البلسان
يستجيب العندليب .

وينفخ فى ناي الصنوبر
فيصدح هذا الناي
ومن بين أغصان الصنوبر
تتناثر أهازيج الشحارير .

ويخرج ديديل
من المخلاة
أخف ناي رنّان
ناي البتولا .

يلمس دستانَ الناي برفق
وينفث نفساً فى شقِ الناي
فترد البتولا على أنفاسه
بصوت رنّان .

ويسمع الحسون هذا الصوت
صوت الشجرة والطير
فيجلجل رداً عليه
من البتولا المنتصبة على حافة الدرب .

نصبَ ديديل شباكه
فوق البركة المغطاة بالطحالب
وراء درب القرية
بعد أن سكن هدير العجلات .

ولاح العالم فى ناظريه
أخضر من تحت
أزرق من فوق
بشكل طير هائل مغرد .

يسير ديديل مرحاً مسروراً
بعصاه وعنادله ومخلاته
عبر جبال هارتس المكسوة بالغابات
على شواطئ الراين .

عبر غابات البلوط فى ثورينغين
والصنوبر فى سكسونيا
وأشجار البلسان فى وستفاليا
والمروج الثملة فى بافاريا .

مارتا ، يا مارتا ، هل من داع للبكاء
وديديل يجوب الحقول
ويصفر للأطيار
ويضحك ملء رئتيه ؟

١٩١٨ ، ١٩٢٦

* * *

أصابنا الذبول والخور
من زوجاتنا المخلصات والخبز الأسمر . . .

الزمان اجتاز الامتحان بالسنابك والصخور
والمياه مشبعة بطعم الشيح الأبدى
علقم الشيح على شفاهنا . . .
السكين ليست لأيدينا
والقلم لا حق لنا فيه
الرفش لا يليق بنا
والمجد لا حاجة لنا فيه :
فنحن أوراق صدئة
على بلوط صدئ . . .
حالما تهب ريح الشمال
نتطاير ، نتناثر .
فأي طريق نفرشه أنا وأنت ؟
وأية أقدام ستدوس على صدئنا ؟
هل سيسحقنا نافخو الأبواق الشباب ؟
وهل ستومض فوقنا نجوم غريبة ؟
نحن نفح البلوط الصدئ المتطاير . . .
تتلاعب به الزوبعة الهوجاء . . .
نحن نتطاير فى الليل !
فى الليل نتطاير !
مثل النجوم الريّانة نتطاير على غير هدى . . .
نافخو الأبواق الشباب يمشون فوقنا
والنجوم الغريبة تومض فوقنا
وعلى أجسادنا ترفرف رايات غريبة . . .
حالما تهب ريح الشمال
انهضوا والحقوا بهم

عجلوا ، إلحقوا بهم
تدحرجوا على الحقول
ترنموا فى السهوب !
لتلحقوا ببريق السيف المحلق فى الغيوم
بوقع السنابك فى الأوجار النائية
بنغم الأبواق الغارق فى الغابات . . .

١٩٢٦

البطيخ الأحمر

الريح تعول
والأمواج تتقاذف السفينة فى بحر آزوف
البطيخ الأحمر اكوام فى بطن السفينة الحبلى
والمرفأ يئن تحت ثقل البطيخ .

لن نشرب الخمر فى آخر الليل
فالخفراء ليس لهم غير التثاؤب الممل .
نشرنا الأشرعة
لنمخر العباب ثلاثة أيام . . .

الأمواج العاتية تصفع أعشاب البحر الكثيفة
ويتناثر الرذاذ هنا وهناك .
انتقيت بطيخة رنانة كالناقوس
ورسمت بسكينى قلبا على قشرتها . . .

حطت الشمس الذاوية على صفحة الماء
وتمخضت الأمواج فولد الهلال . . .
ومدت الريح يدها
فتراقصت الأشرعة
واندفعت السفينة !

البحر قرون ملتوية
والبطيخ يتراقص فى البطن الحبلى . . .

الريح تصفر صفير الملاح باصبعين
والغيوم تتلبد
وينكمش المقود
وينبعث الصرير من مسامات السفينة .

ننطلق عبر الأمواج
وعبر الأمطار على غير هدى
وسط الزبد الهدّار
نهيم بلا منار . . .
أجنحتنا الشراعية
تنتحب بنشيج أجش
فى بلبلة واضطراب .

جذبتنا دوامة فظيعة
والبحر يضج كسوق مكتظ
ويدفعنا الى المضاحل
الى المضاحل يدفعنا
فى آخر رحلة لنا .

البحر قرون متناطحة
والبطيخ يتراقص فى البطن الحبلى . . .
لم يتسنَ لى أن أنظم آخر أغنية
لكنى أشم أنفاس الموت الباردة . . .
لعبت القمار وعشت حياة التشرد
وها هو البحر يكافئني —
فلن أحافظ على حياة المرح بعد الآن —
انفلت المقود من يدي والثقب يتسع . . .
الشمس الذاوية تشرق فوق البحر
كى يذوب الهواء ويتسخن
لم يبق للسفينة أثر
لا شىء غير البطيخة
تطفو ، والقلب على قشرتها ، بين الأمواج . . .
الأمواج العاتية تصفع أعشاب البحر
وأسراب الاسقمري ترقص هنا وهناك
وتهدهد موجة بطيختي بحنان
لتوصلها الى الساحل . . .
وهناك خاتمة الرحلة والمطاف
ونهاية الريح والأمواج
تلتقط فتاتي ، حبيبتي العزيزة ،
البطيخة والقلب على قشرتها . . .
ولن يخبرها أحد
بان قلبي بين يديها . . .

١٩٢٤

فلاديمير لوغوفسكوي

(١٩٠١ — ١٩٥٧)

ولد في موسكو ، في عائلة معلم . انهى المدرسة الثانوية عام ١٩١٨ والتحق بجامعة موسكو . وسرعان ما ارتحل الى الجبهة الغربية حيث خدم في مستشفى ميداني . وعندما عاد من الجبهة عمل في التحريات الجنائية ، ودرس في المدرسة الرئيسية لاعداد المعلمين ، وخدم في ادارة شؤون الكرملين . وكانت الانطباعات والصور الشعرية الأولى لدى لوغوفسكوي مستوحاة من الثورة والحرب الأهلية والتاريخ الروسي وطبيعة الشمال التي نشأ فيها والد الشاعر . بدأ لوغوفسكوي بنشر نتاجه في عام ١٩٢٤ وأهم كتبه : «الوميض» و«العضلة» و«آلام أصدقائي» و«الى بلاشفة البادية والربيع» و«بحر قزوين» . وكانت المناطق المحببة الى هذا الشاعر الذي تغنى بتجديد البلاد وبناء الاشتراكية هي الحدود الجنوبية للبلاد وآسيا الوسطى والقوقاس . ومن أشهر قصائده «أنشودة الريح» . وقد كتب يقول : «كلمة «الريح» في أشعاري غدت بالنسبة لي مرادفا للثورة والتقدم الأبدي الى الأمام والفرحة النشيطة والقوة» .

أنشودة الريح

اغنى لكم أنشودة الريح ،
الريح السائرة بجزمات الجنود ،
جزمات الجنود تجوب دروب الحرب ،
وما بالحرب حاجة لأشعاري .

الأنشودة تسهّل السير على الأقدام المتعبة
وتهز الحراب كل الحراب
وتتعالى أنغامها بلغات شتى
فيما وراء الدون والأورال والفولغا .

بلغة تصيح وبأخرى تبكي ،
وتجوب السهوب كصفير القوزاق
وتنطلق كالسيل الهادر من بوابة موسكو
وتجتاح الديار من غابات التايغا حتى البحار .

الغابات تهمس
مكررة أقوال الزعماء ،
وفصيل الشبان
ينتظر الأوامر .

الفصيل ينتظر ،
يحد الفؤوس ،
والزعماء يتشاورون . . .
فى نسيم الليل العليل .

ما أوسع الرحاب الزرقاء فى ضوء القمر .
عىئ بندقيتك ، وأصبعك على الزناد ،
والقمر مفوض يفتش المخافر ،
والسكة الحديد تلوح من بعيد .

عجيب ! القضبان محطمة
والصنوبرة مسجاة عليها
والخفراء قابعون فى المخابىء ،
ماذا ؟ هل هذا رجل ام سنور ؟

آه ، دوى صوت ، دارت الدنيا ،
يا رصاصة ، يا لعينة ، لماذا اصبتني ؟

سامحيني ، وداعا ،
وداعا ، ولكن عديني
ولا تبخلي بشىء .

لا تحزني
لا تتألمي
لا تأسفي على أحد .

أعدى الرشاش
واحصدى الاعداء تحت الصنوبرة .

القاطرة حذرة
تصب غضبها على العربات ،
تحمل لكولتشاك
آلاف المجندين
تسير فى المقدمة
كقائد شجاع
صدره مزين بالمصابيح كالنياشين .
ارتعب القائد
وتعسرت أنفاسه
فالقضبان محطمة
حانت النهاية .

الضباط يحتسون البيرة
والجنود يغنون :

«روسيا ، يا روسيا
المحراث يحرث أرضك
والمسلفة تسوي ترابك
ما أكثر صبرك وتحملك .

طريقنا طويل ، طويل ، طويل .
روحي تبكي ، تحن للهدوء .

يا ابن الكلب ، يا قطار المصائب
الى أين تسير بالجنود ،
يا أمي العزيزة يا بنت الريف
لماذا ارضعتني فى ليلة منحوسة ؟!

لماذا أضحى بحياتي أنا الصبي الغرير ؟
لماذا أخدم كولتشاك أنا الصبي الصغير ؟
يا روسيا ما أكثر صبرك وتحملك !

الاذاعة والاشاعات . . . تقول :
الجيش الخامس
احتل كراسنويارسك .

هل تسمعون صراخا مدوياً
يا أبناء روسيا والسوفييتات
حانت نهاية الأعداء
وتحول نهار الشتاء الأبيض
الى بحر من الرايات .

سيبيريا مطوقة
والحراب صامتة
وقوات كولتشاك
مقهورة مدحورة .

يا ذئاب
اجمعي صغارك !

كولتشاك
ترك الكتائب الميتة
مسجاة على الثلوج الشائكة .
يا أنصار !
استنهضوا أبناء القرى :
كولتشاك
مثخن بالجراح .

على الثلج الباهت طُعم للذئاب :
جثث خمس
ضباط خمسة .
تلك هى النهاية .
خلاص !

يا بلاشفة البادية والربيع

اللهيب يتصاعد فى الموقد
ونحن جلوس بوثام فى هدوء الليل .
نقتات على الأخبار
والرز
والليل بهيج منور
والارجل متعبة أرهقها ركاب السرج
فى ليل ابريل

ومصباح النور
ولهيب الموقد المستعر .

رفيق يرتق ردنه
وآخر يطارد جُعلا
والمهندس المتعب راقد على جنبه
يستنسخ السطر الأخير .
ومن بعيد
استحث رفاق آخرون
جمالا تجر المباذر .

تعالى عواء ابن آوى فى الأرجاء
الرجال اجتمعوا فى استراحة قصيرة .
البادية تنفث ريحا
وتتشمم العدو من بعيد
وتسمع الأعداء من بعيد
تسمع وقع المعول
وخشخشة المحاريث .

المناوب يطرق الباب ثلاث مرات كل ساعة
يحمل رزمة من البرقيات
وامتلأت الباحة
بالأرقام والتوبيخات والكلمات
يتلوها على عجل .
والبادية تزهو بجمالها الابدي
فالبلاشفة يبذرون المنطقة .

هبت الريح مندفعة مع وقع السنابك
وحفيف الأعنة وأصوات الرجال
وانساب ضوء المصباح على الأعشاب
ودخل رجل الى الشرفة
وتبعه آخر على ظهر حصان
جاءت البادية مع الريح
جاءت صحراء قره قوم .

المسدسات تتدلى على القمصان الخشنة
ما أروع العاملين فى الصحراء .
يرقدون وأقربة المسدسات تطقطق
والنكات تحوم حولهم والشاي المركز يفور .
فالبلشفي الذى روض الصحراء
قادر على تذليل كل الصعاب .
أنشدت أغنية ، وأنا أغني الآن
لكم يا مروضي البادية .
استراحتكم تمتد حتى الفجر
وغدا ستجوبون طريق القوافل القديم
حتى تصلوا الى الآبار البعيدة
ما أروعكم يا شغيلة البادية !

والآن جاء مهندس زراعي شاب
وهو تواق للنوم
لكن الجلوس أفضل من الرقاد على السرير ،
والحديث الودى أفضل من الشخير .
ذهنه مشحون بالهكتارات والمحاريث

وفى عينيه تتراقص دوائر خضراء .
خذ ابريق الشاى واملأ القدح .
ما أروعكم يا شغيلة الحقول !
وجاء فى الأخير شغيلة الإرواء
لباسهم ملوث وأقدامهم مبللة .
انهدوا متعبين على السجاجيد
وجوههم متجهمة وحواجبهم معقودة .
«تخلصنا من كارثة . أنقذنا الترعة .
ونحن متعبون .
الشاي اللذيذ مكافأة لنا على جهودنا» .
ما أروعكم يا شغيلة الإرواء !

الحقد يدق الأبواب بسنابك الخيل
ومن الحدود انطلقت العصابات
والتوت ذيول الجياد
منتشرة على التراب والمياه وعلى رمال الصحراء
المنزل الذى نحن فيه من منازل الاقطاعيين ،
فلاحو التعاونية حرثوا كل الحقول .
لكن الاقطاعى والصحراء عادا من جديد
لقتل الفلاحين وانتزاع المنزل والحقول .
رجال الحدود يسمعون من بعيد
سنابك الخيل وصفير الفرسان .
الأصبع على الزناد
وذبانة التنشين وسط أهداب العيون
ما أروعكم يا رجال الحدود ! . .

أنتم معلمو البلد المتواضعون
يا بلاشفة البادية والربيع !
أنتم الرواد السائرون فى المقدمة
العمل كثير ولا مجال للاستجمام .

يا شغيلة الرمال والمياه والتربة
ما أثقل الأعباء التى تقومون بها !
وما أضخم القوة التى يمنحكم اياها
البلد الوحيد على وجه البسيطة !

ميخائيل اساكوفسكي

(١٩٠٠ — ١٩٧٣)

ولد في قرية غلوتوفكا بمقاطعة سمولينسك في عائلة فلاحية . انهى المدرسة الريفية وخمسة صفوف من الثانوية . في أثناء الثورة كان معلما في مدرسة قروية ثم محررا في جريدة في قضاء يلنا . كما عمل في هيئة تحرير جريدة «طريق العمال» في سمولينسك . بدأ ينشر أشعاره في عام ١٩٢٤ . وفي عام ١٩٣١ انتقل الى موسكو وعمل في تحرير مجلة «الكولخوزي» . صدر ديوانه الأول «أسلاك في القش» عام ١٩٢٧ ، وقد امتدحه مكسيم غوركي فقال : «أشعاره جيدة بسيطة تثير المشاعر بصدقها» . واشاد غوركي بالاهمية الاجتماعية لشعر اساكوفسكي الذى تجسدت فيه بعمق وشمول معيشة القرية السوفييتية المرتبطة بالمدينة أوثق ارتباط . وتناول اساكوفسكي في أشعاره انتصار النظام الكولخوزى التعاونى في الريف ونظم قصائد عن الوطن وعن العالم الداخلى للمواطن السوفييتي . وتحولت قصائده الى أغان تنشد في كافة أرجاء البلاد ، وكانت عزيزة على الناس بخاصة في الأيام الصعبة ابان الحرب الوطنية العظمى .

أحرقَ الأعداء داره

أحرقَ الأعداء داره
أبادوا أسرته
فالى أين يبمم الجندي وجهه ؟
وعلى من يعرض أحزانه ؟

توجه حزينا كئيبا
الى مفترق الطرق
وعثر على التلة المعشوشبة
فى الحقل الواسع

وقف عند التلة
مختنقاً بعبراته
وقال «استقبلى زوجك البطل
يا براسكوفيا .

اعدي الطعام لضيفك
جهزي مائدة واسعة فى الدار
فقد جئت اليك
لأحتفل بعيد العودة . . .» .

الجندي ينادي ولا من مجيب
ولم يستقبله أحد
سوى ريح الصيف الدافئة
تداعب أعشاب القبور .

تنهد الجندي وعدّل حزامه
وفتح كيسه الميدانى
وأخرج قنينة العلقم
ووضعها على حجر القبر الرمادى :

«لا تلوميني يا براسكوفيا
على مجيئي فى هذه الحال
كنت أريد أن أشرب نخب السعادة
وها أنا اتجرع نخب الموت .

سيلتقى الأصدقاء والأحباء من جديد
أما نحن فلن نلتقى أبداً . . .»
وتجرع الجندى من قدح معدنى
نبيذا مخلوطا بالأحزان .

الجندي خادم الشعب ، يشرب النبيذ
ويقول بلوعة يتفطر لها القلب
«سرت اليك طوال أربع سنين
وقهرت ثلاث دول . . .»

دبّ النبيذ وسقطت دمعة
دمعة الآمال المضيعة ،
وعلى صدر الجندي
تلمع مدالية تحرير بودابست .

١٩٤٥

كاتيوشا

تفتحت أزهار التفاح والكمثرى
وسبح الضباب فوق النهر
وخرجت كاتيوشا الى الضفة
الى الضفة العالية المنحدرة .

خرجت تغني
أنشودة صقر السهوب
أنشودة الحبيب
الذى تحتفظ برسائله .

آه يا أغنيتي ، أغنية الأنوثة
حلّقي وراء شمس النهار
واحملي الى المقاتل على الحدود البعيدة
تحية من كاتيوشا .

فليتذكر الفتاة البسيطة
وليستمع الى صوتها وهى تغني
وليحرس أرض الوطن ويحافظ عليها
وستحافظ كاتيوشا على الحب .

تفتحت أزهار التفاح والكمثرى
وسبح الضباب فوق النهر
وخرجت كاتيوشا الى الضفة
الى الضفة العالية المنحدرة .

١٩٣٨

خيم السكون من جديد . . .

خيم السكون من جديد حتى الفجر
لا الباب يبعث صريرا ولا يضاء مصباح .
لا شيء سوى صوت الهارمونيكا
يجوب الشارع وحيداً .

تارة يتوجه الى الحقول وراء السياج
وتارة يعود أدراجه
كأنه يبحث فى الظلام عن شخص ما
لا يعثر عليه .

نسيم الليل يهب من الحقل
وتتطاير الازهار كثيفةً من أشجار التفاح .
فمن تريد يا عازف الهارمونيكا ؟
قل لى من تريد ؟

ربما ليست بعيدة تلك التى تريدها
لكنها لا تدرى بأنك تنتظرها . . .
فلماذا تجوب الدروب طوال الليل
وتحرم الفتيات من النوم ؟!

١٩٤٥

ميخائيل سفيتلوف

(١٩٠٣ — ١٩٦٤)

ولد فى مدينة يكاتيرينوسلاف (دنيبروبتروفسك حاليا) فى عائلة حرفى . انهى المدرسة الابتدائية عام ١٩١٧ . عمل فى البورصة ثم فى استوديو خاص للتصوير . وبعد ذلك مارس العمل الكومسومولى واشتغل فى تحرير اول مجلة كومسومولية فى اوكرانيا هى مجلة «البروليتارى الفتى» . وفى عام ١٩٢٠ انتسب متطوعا الى الجيش الاحمر . وبعد التسريح من الجيش انهى الكلية العمالية ودرس فى كلية الآداب والفنون بجامعة موسكو . وصدر ديوانه الاول «القضبان» فى خاركوف عام ١٩٢٢ . واشتهرت على نطاق واسع قصيدة سفيتلوف «غرناطة» التى تعبر عن الجوهر الاممى لآراء ومعتقدات المواطنين السوفييت . وفى تراث سفيتلوف كثير من الدواوين والاغانى والمسرحيات . والسمة المميزة لهذا الشاعر هى الفكاهة الطيبة والرقة الانسانية والحنان .

* * *

لم أدخل الحانة مرة فى حياتي
ولم أشرب الويسكى المركّز مع البحارة
ربما لن أمتطي ظهر الجواد مرة فى حياتي
ولن أجوب صحارى جزيرة العرب .

لن تتمكن يدي الخجول من نشر الشراع
ولن تدفع المجذاف فى دوامة الأعاصير
فالأطلسى يحب الفتيان ذوى البشرة المالحة
والصدور التى لفحتها الريح . . .

جبال الجليد جدار فى وجه السفينة
سنهوّم فى حقل هائل
لو سمح لي أموندسين
برؤية القطب الشمالى ولو من بعيد .

ربما لن أترك شاطئي قريباً
فأنا أعرف موطني ، أوكرانيا ، بكل ما فيه
ولكن ما أروع أن أقضى نوبتي
فى الليل الاستوائى وسط الزوابع والأعاصير .

الجودار الناعس فى حقول تشيرنيغوف
لم ير مثل ذلك الليل
الذى تجوب النجوم سماءه عمياء
وترتطم بالقمر فى غياهب الظلام . . .

بوابتنا تغلق فى الثانية عشرة
أسرعت وسط الجموع التى يغص بها كورنيش فونتانكا
وخيل اليّ طوال الوقت
ان النمور متوجهة الى النهر وراء المنعطف .

١٩٢٧

الايطالي

صليب أسود على صدر الفتى الايطالى
صليب بلا نقوش صقيلة ولا تخريم
صانته عائلة فقيرة
وارتداه ابنها الوحيد . . .

يا ابن نابولى اليافع
عمَّ كنتَ تبحث فى حقول روسيا ؟

ألم تجد السعادة المنشودة
فى خليجك الشهير ؟

سقطت صريعاً بيدي
أنا ابن سهوب الفولغا
أنا الذى كنت أحلم برؤية بركان فيزوف
واتمنى لو أبحر مرة واحدة على جندول البندقية .

لكنني لم اقتحم ايطاليا بالسلاح
لأنتزع منها صيفها
ولم تنطلق رصاصتي مدوية
فوق أرض رفائيل المقدسة .

اطلقت ناري هنا ، حيث ولدت
حيث أفتخر بنفسي وباصدقائي
حيث تدوى ملاحم شعوبنا
بلغاتها الأصلية .

فهل درس العلماء الأجانب
أواسط الدون ؟
وهل حرثتَ أنت
أرضنا ، أرض روسيا ؟

كلا ، نقلوك بالقطار
لغزو المستعمرات فيما وراء البحار
حتى يكبر الصليب ويتحول من تحفة عائلية صغيرة
الى شاهد ضخم على القبور . . .

لن أسمح لأحد أن ينقل وطني
الى ما وراء البحار الغريبة
أنا أطلق النار
فما من عدالة أكثر عدلا من رصاصتي .

لم تكن تعيش فى هذه الأنحاء ولا زرتها مرة
لكن سماء ايطاليا الزرقاء
تجمدت كالزجاج فى العينين الميتتين
على حقولنا الملفعة بالثلوج . . .

١٩٤٣

غرناطة

كنا نسير الهوينى
ونعدو كالسهام فى القتال

تلهج ألسنتنا
بأغنية البحارة
التى تحوّم حتى الآن
فوق الاعشاب القبية
فوق السهوب الخضراء .

لكنَّ رفيقي
يترنم على ظهر الجواد
بأغنية أخرى
عن أرض بعيدة
كان يغني
ويتطلع الى أرضه الحبيبة :
«غرناطة ، يا غرناطة ، يا حبيبتي !»

كان يغني
بلا كلل . . .
من أين للفتى الاوكراني
بهذا الحزن الاسبانى ؟
اجيبي يا الكسندروفسك
اجيبي يا خاركوف :
متى بدأتما
تنشدان الأغاني بالاسبانية ؟

خبّريني يا أوكرانيا
أليست تلك القبعةُ
الملقاة فى حقل الجودار
قبعةَ تاراس شيفتشينكو ؟
من أين لك يا صاحبي
هذه الأغنية :
«غرناطة ، يا غرناطة ،
يا حبيبتي !»

هذا الأوكرانى الحالم
يجيبني بلا استعجال :
— وجدت غرناطة ، يا أخي ،
فى كتاب
اسم جميل
يستحق التكريم
غرناطة اقليم
فى اسبانيا .

تركت منزلي
توجهت للقتال
كى أوزع أراضي غرناطة
على الفلاحين
وداعا يا أقاربـي

وداعا يا أهلي
غرناطة ، يا غرناطة
يا حبيبتي !

كنا نعدو كالسهام حالمين
بان نتعلم بأسرع ما يكون
قواعد القتال
لغة المدفعية .
اشرقت الشمس
وغربت من جديد
وتعب الحصان
من العدو فى السهوب .

لكنَّ الفصيل
ينشد أغنية البحارة
على كمان الآلام
على قيثارة الزمان . . .
فأين أغنيتك
يا رفيقي :
«غرناطة ، يا غرناطة ،
يا حبيبتي» ؟

اخترق الرصاص بدنه
فهوى على الأرض

وفارق السرج
لأول مرة .
رأيت القمر
ينحني على الجثة
وتبعث الشفتان الميتتان
همسا : «غرناط . . .»

أجل ، توجه رفيقي
الى الارجاء البعيدة
الى ما وراء الغيوم
وأخذ الأغنية معه
ومذذاك لم تسمع
الأرض الحبيبة :
«غرناطة ، يا غرناطة
يا حبيبتي !»

لم يلحظ الفصيل
سقوط الشهيد
فظل يغني
أغنية البحارة .
وعلى وجه السماء
انزلقت برقة
قطرة مطر
دمعة على مخمل الغروب . . .

ألفت الحياة
أغاني جديدة . . .
فلا تحزنوا يا شباب
على تلك الأغنية
لاتحزنوا ، لا تحزنوا . . .
غرناطة ، يا غرناطة !
يا حبيبتي !

١٩٢٦

ياروسلاف سميلياكوف

(١٩١٣ — ١٩٧٢)

ولد في مدينة لوتسك بمقاطعة فولين في عائلة وزان بالسكك الحديدية . في عام ١٩٢٨ انهى المدرسة الابتدائية من سبعة صفوف في موسكو ودرس في ثانوية الطباعة المهنية ، ثم عمل منضدا في احدى المطابع . وانضم الى الحلقة الادبية لدى جريدة «كومسومولسكايا برافدا» . وعندما وافقت مجلة «اكتوبر» على نشر أول قصيدة له صف بنفسه حروفها في المطبعة . وفي عام ١٩٣٢ صدر في سلسلة مكتبة «اوغونيوك» ديوان صغير للشاعر ، وفي العام نفسه صدر ديوانه الرئيسي «العمل والحب» الذى نشر مرارا فيما بعد في طبعة مزيدة . كان سميلياكوف من الشبيبة العمالية التقدمية في الثلاثينات ولذا تحسس «مناخ المعامل» جيدا . واهتم الشاعر بمنجزات البناء اليومي وطباع ومصائر الفتيان والفتيات العاملين في ورشات المصانع . وقد ساهمت قصائد سميلياكوف الشحيحة التفاصيل والاصيلة الباسلة بقسط كبير في الشعر السوفييتي . وقد منح الشاعر جائزة الدولة في الاتحاد السوفييتي تقديرا لمجموعته الشعرية «حوار عن الاهم» (١٩٥٩) .

شعار دولتنا

حدث ذلك
فى السنة العظيمة
سنة الثورة
وانتصار الشعب .
جاء الى المكتب البارد
فى الكريملين
زعماء الدولة
للتشاور .
ومعهم جلس
عند نفس الطاولة
حدّاد وفلاحة
وعاملة نسيج ومزارع .

وعند الباب
وقف جندي
باسل بشاربين
يحمل بندقية .
وبعد التشاور
قرروا :

— نعيش على الأرض
وسنجعل من هذا الكوكب شعارا لنا .

لتشرق الشمس
وتلمع النجوم .
على الشعار
مثلما هى فى السماء الى الأبد .

أما الباقي
— والمجد للعمل ! —
فليأتِ به
المندوبون .

جاء الحدّاد
من ورشته المدخنة
حاملا ثروته —
مطرقته الأبدية .

وجاء المزارع
يحمل حزمة ثقيلة
من السنابل والزهور
على يديه المعروقتين .

وحملت الفلاحة
من قرية بعيدة
منجلها الحاد
ملفوفا بقماش .

وحملت عاملة النسيج
وهى تطرق بجزمتها المتجلدة
على الأرضية
لفة من القماش الأحمر .

وجمع المجلس
بين المنجل الكبير
والمطرقة
التى خدمت الحداد .

وطوق المجلس
قماش أكتوبر الأحمر
بالحزمة الثقيلة
الغنية بالحبوب .

وسجلت كلمات الشعار
بنصيحة من لينين
على أشرطة
القماش الأحمر .

أراد الجندى
— فالجندي لا يطيق الصمت —
أن يقدم بندقيته
لأجل الشعار .

وقال زعيم الشعوب
للجندي

ان لا يترك
البندقية .

ومنذ ذلك الحين
يحرس الجندى
شعار دولتنا
بشرف وكرامة .

شوح الكريملين

ما أروع ذاك
الذى حمل الى الساحة الحمراء
ليس أشجار الصفصاف
الباكية
ولا أشجار البتولا
الشفافة كالحكايات .

شوح الكريملين القاتم
ينتصب برفق وهدوء
عند الفجر .
أشجار الشوح
المدببة الرؤوس
بنات العاصفة الثلجية
ذكرى تشييع لينين .

زينتها
عزيزة علينا
جمالها الصامت
نحبه
أغصانها العابسة
وجذوعها السيبيرية
المستقيمة
تعجبنا .

العجوز والمغزل

عصا مطلية بالوردي
وخشبة قاتمة
المغزل الخشبى يطقطق
والعجوز جالسة عند النافذة .

خيط من الثلج الأبيض
يتراكض وراء خيط
من مطر الربيع
ويغدو رفيعا من الركض
ويطنطن بخفوت فى اليد .

ألف عام مرت عليها
وليس فيها شعرة شيباء .

عملت فى أقدم العصور
وستعمل فى عهد الأحفاد .

تناثرت على ركبتيها
طقطقة عجلات عربات الأنصار
ورماد القرى المحروقة
وأوراق البتولا الصفراء .

تغزل الريح والفجر
تغزل السلم والحرب
وأمواج البحر الطليقة
وموجات الاذاعة .

لم تتعب
من غزل خيط ناقع بالدم
وخيط الراية الحمراء
وهى تداريه بحب فخور .

يروح الشتاء ويأتي الربيع
والزهور تطوق المنزل
وتمر أيامنا صاخبة
عبر أصابعها القاتمة .

عيناها الزرقاوان صارمتان
والبرق يلمع فى المنزل
وتنوح رياح روسيا الشاسعة
وتبتهج فى المدخنة .

الأرض

عشت حياتى بهدوء
لم أرَ العواصف والزوابع
ولم أمخر عباب البحار
ولم أسبح بين الغيوم حتى فى المنام .

ولكني أحببت
هذه الأرض الرطبة السوداء الشاسعة
أحببت أرضي العزيزة
فأعادت لي شبابي .

لم أبخل بشيء من أجلها
ففارقني الهدوء ولم يغمض لي جفن
وغدت يداي الكبيرتان قاتمتين
ولكنها هى صارت أكثر نورا .

ورحت أحملها
فى عربة ذات صرير
كما تحمل النسوة الأطفال
كي تبقى مسرورة لا تعرف الأحزان .

أشعر بذنبي
ولا أنشد الصفح والمغفرة
فقد رفعت تربتها بالمعول
وألقيت بها من جديد .

فأنا نفسي
ضغطت على القنبلة اليدوية
حتى شحب لوني من فرط السعادة
وقفزت فوق الأرض
ثم سقطت عليها مصابا فى المعركة .

وهبتني القمة والهوة
وأهديتني الرحاب
فصرت قويا شديد البأس
حديدي الارادة .

وحتى هذه الغضون القاسية
على جبهتي وخديّ
أخذتها بالوراثة من الأرض
كما تنتقل يد الأب الى الابن .

أنا رجل ذو عينين زرقاوين
ولكني لا أخجل ولا أفرح
لأن التربة ظلت تحت أظافري
ولأنها ظلت فى قلبي .

صرتِ سماءً لي وأمواجا
وصرتِ مهدي وملجأي الأخير . . .
فلكِ أهمية كبيرة فى الحياة
طالما الناس يضحون بحياتهم من أجلك .

حسناوات روسيا

فى خضم الأنوار الكهربائية
تحتضر جوليت الفتية .

صوت اوفيليا
يقلق المتفرجين فى مسارح الأعياد .

سندريلا ترقص
فى بهارج ذهبية زرقاء .

يا اخواتي فى القاعة شبه المعتمة
لم نكتب شيئا بعد عنكن .

فى المخابئ تحت الأرض وليس فى الحكايات
جربت زوجاتنا الخوذات العسكرية .

فى الأوراق وليس فى جنائن بييرّو
غذيتن التربة بالرماد .

الأميرات الروسيات
واجهن الموت على النقالات الطويلة .

وعلى مقربة منهن
وقف جنود الرشاشات فى حزن وحداد .

وخلعتن المعاطف العسكرية
وارتديتن الاحذية النسائية القديمة .

سوف نلبسكن الحرير والدمقس
وسوف ندفئ أكتافكن بالفرو النفيس .

سنبني لكن قصورا فخمة
يا حسناوات روسيا العزيزات .

سنؤلف الكتب عنكن
كتبا مفعمة بالحب والدهشة .

* * *

النجوم تلمع هناك فى السديم
ويخطو أهالى المريخ بوئام .

على الهضاب السوداء
لا عشب ولا أشجار .

المنجل لا يحصد ولا أحد يصنع الحدوات
والأغنية لا تخترق الصمت .

لا تعرفون السعادة ولا القلق
فهؤلاء الآلهة الصغار رفضوا كل شىء .

وينظرون بعيون كئيبة
الى السديم ونجوم الكون .

. . . ما أكثر ما حلمنا أنا وأنت
بالعظمة ونحن نتطلع الى هذه الأبعاد .

ما أكثر ما وقفنا خاشعين
أمام فجر الكون الرهيب .

. . . قرب موقد استراحة الجنود
أنار وجوهنا لهيب آخر .

تجرعنا كأس المحن
حابسين الأنفاس فى الصقيع .

اخواننا ماتوا صامتين فى الكتائب
والتلميذات ينشدن على منصات الاعدام .

وصمم مشاتنا
أن ينهلوا من كأس النصر ما شاءوا .

تلك هى بداية مسيرتنا
مثل بداية سيل جبلى .

أعمدة الغبار تتصاعد والزبد يرغي
ونافخو الأبواق ينادون كالأنبياء .

وجّهَ الجنود المدافع الثقيلة
ببطء كما يفعل القضاة .

دخان المعركة وبوق الثأر
وعلى القبعة كوكبة حمراء .

. . . الحقول المبذورة بالقمح تغط فى النوم
والنجوم تنير السماء بهدوء .

شقت النجمة باشعتها الخمسة
ظلمة مقابر الشهداء .

يا نجوم منتصف الليل فى روسيا !
يا نجيمات الجنود العزيزة !

. . . أرى اليوم من بعيد
وميضا أوضح مما فى التلسكوب :
أهالي المريخ يتطلعون كالأطفال
الى أهالي الأرض العظام .

اللغة الروسية

عند مهدكِ البسيط
غنت نساء ريازان
بأصوات لا تكاد تسمع
بكلمات تتناثر كاللئالئ .

تحت مصباح الحانة الخافت
جلس حوذي كصقر جريح
وتدلى رأسه على المائدة
دون أن يمس الكأس الطافحة .

سرتِ على حوافر مهشمة
فى لهيب مواقد المتدينين
وذبتِ فى الصحون والطسوت
وصرصرتِ كجندب الأفران .

جلستِ على مدخل المنزل
ووجهكِ يعانق المغيب
وأخذتِ من أفضل الشعراء
أحب ما لديهم من كلمات .

يا أجدادنا
أنتم الذين ابيضت وجوهكم
بالطحين فى ساعة المحنة .
فطحنتم اللغة التترية الدخيلة
بالمطحنة الروسية .

أخذتم من الألمانية القليل
وكنتم قادرين على أخذ الكثير
كيلا تبقى لهم وحدهم
قيم الأرض العلمية .

تفوح منكِ رائحة فرو الضأن
وشراب الأجداد القمحى الحاد ،
كتبت حروفك بخشبة مستعرة سوداء
وبريشة التم البيضاء .

أنت أغلى من النفائس والأموال
وفى سني الحرب نقشت حروفك
بالمسامير على طلاء
جدران السجون الألمانية .

حتى الجبابرة اختفوا
فى الحال والى الأبد
عندما تطاولوا بلا حيطة
على جوهر اللغة .

° ° °

اذا مرضت
لن أراجع الأطباء
وأنادي الأصدقاء
(ولا تظنوا اني أهذي) :
افرشوا لي السهب
غطوا نافذتي بستارة من ضباب
ضعوا فوق رأسي
نجمة الليل .

مشيت مندفعا
ولم اشتهر بضعف الارادة .
اذا جرحت فى معارك عادلة
ضمدوا رأسي
بطريق جبلى
ولفوني
ببطانية
من زهور الخريف .

لا تزرقوني بالادوية والمستحضرات .
أريد للقدح أن تلمع فيه الاشعة .
عالجوني بريح الصحراء الساخنة
وبفضة الشلالات .

البحار والجبال
تنفح بالخلود
وعندما نراها
نفهم أننا نعيش الى الأبد .

دربي مفروش بالغيوم
وليس بالمستحضرات الصفراء .
اغادركم عبر درب التبانة
وليس عبر رواق المستشفى .

اناتولي سوفرونوف

ولد عام ١٩١١ بمدينة مينسك . وعمل برادا في مدينة روستوف على الدون ، وكان خراطا في مصنع «روسيلماش» للآلات الزراعية وسكرتيرا لتحرير جريدة المصنع . وفي عام ١٩٣٧ تخرج من كلية الآداب في معهد التربية في روستوف . وابان الحرب الوطنية العظمى كان مراسلا عسكريا خاصا لجريدة «الازفستيا» . ونشر أولى قصائده ومقالاته في الصحف عام ١٩٢٩ . ومنذ عام ١٩٥٣ يعمل رئيسا لتحرير مجلة «اوغونيوك» . وله دواوين كثيرة بينها «أيام مشمسة» (١٩٣٤) و«فوق نهر الدون» (١٩٣٨) و«العاقول» (١٩٤٤) و«أحبك» (١٩٦٢) و ملحمة «الوداع» ، (١٩٦٨) . وقد نظم الكثير من الأغاني ، واشتهرت على الخصوص اغنيته «ضجت غابات بريانسك» (١٩٤٢) . وله كتابات اجتماعية ومسرحية . واشتهرت على نطاق واسع مسرحياته «آل بيكيتوف على سلّم المناصب» و«الطبع الموسكوبي» و«المتقاعد» ، و«الطباخة» . والسمة المميزة لشعر سوفرونوف هي حبه لاقليم الدون الذي قضى فيه فتوته .

البستان المهجور

ألا ترين ، يا مارفا ، كيف يكتسى الغصن القاتم
بالعسالج الخضراء ؟
ألا ترين بستان الكرم العتيق
مهجورا فى الزوبعة الكالحة ؟

تصففين خصلاتك الشيباء
وتتذكرين : كم عاما مر على ذلك الزمان
عندما كنت تهرعين اليه فى البستان
فى ليالى سنوات الشباب ؟

وهو واقف يتحرق كالبارود
يحتضنك باستعجال . . .
وأنت تقبيلينه وتعانقينه
وتمسدين خصلاته السوداء بمرح .

ثم تزوجك شرعاً
ثم اندلعت الحرب — فما العمل ؟ —
وودعته وتفارقتما ليلا
فى بستان الكرم الأخضر

وانصرف قبل بزوغ الفجر
وبقيت واقفة محتبسة الدموع . . .
لن تنسي هذا الفراق
كما لن تنسي اللقاء الأول قرب الكرمة .

أين هو ؟ ماذا حدث له ؟ — أنت لا تعرفين
ولا تدرين ولا تبكين . . . كنت تنتظرين !
تتطلعين الى الثلج فى الفجر القانى
الى الدرب المنطلق من القرية .

لم يرد خبر ولا رسالة . . .
ولكن أحد الجيران أخبرك فجأة
بان زوجك ، كما يقال ، قتل
فى مكان ما قرب ميليروفو .

لم تصدقي ما قيل ، وبقيت تنتظرين فى الليالي :
فالبيت والحديقة والباحة تعيش حضوره ،
وكنت تنتحبين وحيدة فى بستان الكرم
ورأسك على السيقان الملتوية الجافة .

مر عام ، لم يذهب سدى ،
لم تصدقي الموت حتى النهاية ،
ورأيت ابنك يترعرع شبيها بأبيه ،
بنظرته وابتسامته .

وحل الربيع . . . وانبجست الزهور البيضاء
وازهرت حتى عيدان السياج . . .
وذهب ابنك معك الى بستان الكرم
ومن الاوراق الاولى تفوح رائحة الثلج

. . . تتطلعين الى بستان الكرم العتيق
مهجورا فى الزوبعة الكالحة .
الأ ترين ، يا مارفا ، كيف يكتسى الغصن القاتم
بالعسالج الخضراء ؟ !

١٩٤٣

° ° °

فى الفنادق على طرق كينيا
تطاردني أحلام موطني
كالأشباح كالأوهام
تلاحقني من بلد لآخر :

تارة أرى الكراكي الوردية
وتارة أرى أمواج الدون الزرقاء
وتارة أرى الأمطار الاستوائية الخانقة
فى ربيع خط الاستواء

كل ما رأيته فى اوربا ،
وعلى الأصح فى منطقة الدون ،

أراه فى المنام فى نايروبي
يأتى الي عبر الأحراش .

ذاكرتي مزقتها الطرق والدروب
على أرض كينيا الحمراء ،
تعود فى منتصف الليل
وتلمس الأوتار الصامتة فى الظلام .

وتعوم فى الذاكرة مكائن الحصاد
وأمواج السنايل المتمايلة
وأنا أركض معك تحت الشمس
وسط الرحاب الصفراء بلا حدود .

على الاسفلت
يستقر شعاع المغيب فى هالة من ذهب
والريح تعوي وتسيل
كما فى سهوب الدون الشاسعة .

. . . فى الصباح تنصرف الاشباح
فهى لا تعيش فى الضوء . . .
وتقتحم كينيا المعقدة
النافذة بصخب وضجيج .

وتمر الأكواخ والأجمات والمزارع
تنهب الدرب مسرعة . . .

وأبناء كينيا يبتسمون لي
فقد عرفوا صديقهم .

١٩٦٤
كينيا . نايروبي

° ° °

لا تروضوا الحصان العجوز
فقد روضه الزمان . . .
ومع ذلك يطقطق بالعنان
ليظل قويا نضيرا لأمد طويل .

ما أكثر الخيالة الذين ذهبوا وبقى هو
استبدل فى الطريق سروجا عديدة
وانفق قوى كبيرة
كى يجتاز أبعد المسافات

حاولوا تدريبه من جديد
ليستبدل عدوه المعتاد بجرى عصرى حديث
ولكنه ترعرع بين الجداول الوادعة
والمروج الخضراء .

بين السهوب المنبسطة والبرسيم المندفع
وعفرته البيضاء تلمع فى القيظ

في الهواء الشفاف المرتجف كالزجاج في الظهيرة
فيلتحم بكثبان السهوب .

. . . لا تروضوا الحصان العجوز
لا تسيئوا اليه باسلوبكم الجديد
ولا تزمجروا غاضبين عليه
لانه لا يسرع في عدو رماح .

وهو ليس محركا بقوة أربعين او ستين ،
انه حصان واحد ، ولكن بلا حدود
في مواجهة صفير المروج الخضراء
ورياح السهوب الثلجية البيضاء

وهو ليس حصانا مخصيا
ولا يعلك الهرطمان متعبا مطوق الرقبة
فبين الاعشاب الكثيفة
ترعرع الكثير من انجاله

بعضهم يجوب المروج الآن
وبعضهم يقترب من عنفوانه
وحوافر البعض الثالث تنتظر الحدوات
فالحدادون يصهرون الحديد . . .

١٩٧٢

° ° °

انظر الى روسيا في محطاتها
واحرص
على ما تراه
فهي لم تقل كل ما لديها
ولم تكشف عن مكنونها .

وهي ، على رؤوس الاشهاد ،
ظلت ، كما كانت ،
ترتدي أحيانا الزي العتيق
دون أن تعبأ بآخر التقليعات

وهي ترتدي بناطيل الجينز
والمعاطف المخملية القصيرة . . .
فما أحرى بك ان تقدم لها
آيات التبجيل في فؤاد محب .

القطارات تصل من بعيد
الى محطة قازان في موسكو
كانت لها بداية
ولن تكون لها نهاية ابداً .

وتتقاطر على أرصفة محطة قازان
وسط هدير العجلات
حافلات خضراء
وكأنها متجهة لحش البرسيم .

القطارات تتلوى كالافاعي
قادمة الى الارصفة
من جميع أنحاء روسيا
والناس ألوان : قديم وحديث .

ومع ذلك نسمع خشخشة الأعشاب
عبر خطى المسافرين
على رصيف محطة قازان
وقد وصلوا الى عاصمتهم الحبيبة .

١٩٧٣

° ° °

اذا ناديتك
تعالي الي محلقة
عبر المطر
عبر الضباب الازرق .

اذا ناديتك
اجيبي ، تعالي
لترى كيف أعيش
لتقبلى تربة الوطن .

وتمجدى السنوات والأيام
التى قضيناها معا
والأنوار الساطعة
التى أضأناها معا .

انظرى الى الأنوار
لم تخفت بعد
فهى تنير
كل الأيام الماضية .

هذه الأنوار
لن تخبو مدى الدهر
فاحفظيها فى فؤادك
كتعرجات الأنهار .

لا مفر من الكآبة
والأسى . . .
اقرأي الأسماء من جديد
على رمل الشاطئ .

اقرأي الأسماء بلا استعجال
وأجيبي
يا روحي الهائمة
كنجمة فى السماء .

وعندما تسقط نجمتي
مدي يديك
واطفئي الأنوار
فى البوابة .

اطفئي كل الأنوار
واسحقي الآثار
ولا تطلبي شيئا
فى تلك الليلة الحالكة . . .

١٩٧٤

° ° °

خريف آخر فى روستوف . . .
والفؤاد لا يتوق الى الاستقرار

لا يطلب الشفقة بسبب العمر والسنين
وكلِ ما أتمتع به بعد فوات الأوان .

خريف آخر وانا أتنفس بطلاقة
وكأني فى عيد من أعياد الشعب .

يجلس قربى حول المائدة المستديرة
كل من ساروا معي وكأنهم جنود عائدون من القتال .

لكن البعض لا يريد فهم هذا الشعور
فهو مهتم بمصالحه وثرواته .

يريد أن يصفي حسابه معك
ويبقى فى وئام وهمي الى الأبد .

ولكن محال ، محال
وهذا واضح لكل فطين .

كيف يصفى الحساب مع السهوب والدون
مع ارادتنا الساخنة كالسهب فى الشمس ؟

كيف يصفى الحساب مع قمح الشتاء
مع نور الفجر الذى يخترق السماء ؟

كيف يصفى الحساب مع الأوراق الموشاة بالذهب
تطاردها الريح من وراء الظهور ؟

كيف يصفى الحساب معك أنت ؟
سيبقى ، عندئذ ، كذرة غبار على الطريق .

. . . يا خريف روستوف
ماذا تريد ؟

ماذا تريد أن أقول لك
فى مهب الريح الهائجة ؟

وهبنا قلوبنا وأرواحنا
لسفوح الدون ، سفوح روستوف .

وهبنا قلوبنا . . . وسيبقى حبنا ساخنا
حتى ولو انتزعت هذه القلوب .

داهمتنا الشيخوخة فصرنا أجدادا
ولكن هذا الحب يعيش فينا ، نحن الأبناء ، الى الأبد .

. . . يا خريف روستوف
بحر من الزرقة المرنان يحتضن السهوب .

لن يبعدنا أحد عن هذه التربة
ولن ينتزعنا أحد من هذه الكثبان .

نحن معك يا خريف روستوف
كالأغنية تصدح وراء الدون ، كالنبتة الأولى .

واذا طوانا الزمان
سيتذكرنا الأخيار .

وسيقولون اننا ارتفعنا كالبلوط
وصرنا كالكثبان فى هذه السهوب !

١٩٧٧

الكسي سوركوف

(١٨٩٩ — ١٩٨٣)

ولد في قرية سيريدنيفو في مقاطعة ياروسلافل في عائلة فلاحية فقيرة . وبعد انهاء المدرسة الريفية ارسل الى بطرسبورغ ليجد مكانا له «بين الناس» . عمل في متجر للموبيليا ، وصار نجارا ثم تلميذا في احدى المطابع ووزانا في مرفأ بطرسبورغ التجاري . وفي عام ١٩١٨ تطوع للخدمة في الجيش الأحمر وتوجه الى الجبهة . وظل في الجيش حتى عام ١٩٢٢ . قاتل في الجبهة الشمالية الغربية ووقع أسيرا في أيدي قوات الحرس الأبيض في أستونيا وشارك في العمليات ضد عصابة انطونوف البرجوازية الريفية في مقاطعة تامبوف . ومارس العمل الكومسومولي والحزبي في ريبينسك ، كما عمل في تحرير الصحف في ياروسلافل . وبدأ ينشر نتاجه في «البرافدا» عام ١٩٢٤ . صدر ديوانه الأول «الاستهلال» عام ١٩٣٠ . ونظم الشعر بالأساس عن الحرب الأهلية ووضع عدة أغان قتالية وعسكرية . وتجلت موهبته خصوصا في المحن العسيرة التي واجهها الشعب السوفييتي ابان الحرب الوطنية العظمى . وانشد الجيش كله والشعب بأسره «أغنية الشجعان» و«السقيفة» اللتين نظمهما في خريف ١٩٤١ . ويشغل مكانة كبيرة في نتاج سوركوف بعد الحرب موضوع النضال في سبيل السلام ، الأمر الذي تجلى خصوصا في ملحمته «السلام للعالم» (١٩٨٠) . وقد منح مرارا جوائز الدولة الأدبية .

الجندى

مسح بردنه
الدم الثقيل على جبينه
واستعد للتنشين من جديد
من خندقه العميق
أمام تحصينة العدو
وراح رشاشه يقطع الأوصال
بشريط فتاك .

انفجرت قذيفة
وتطايرت الأتربة فى كل الأنحاء
ومزقت الشظايا الكتل الترابية المتجلدة
ولكن رصاصات الرشاش تنطلق متلاحقة
وكأن جنديه التحم بالأرض
بعد أن هيجته المعركة .

اختلط الدم بالعرق ،
عرق جهد الجندى .
وأسرعت الدبابات
تلعق جنازيرها الفسحة
والعاصفة الثلجية تعوى

والنجمة الحمراء
تومض على قبعة الجندى وسط الثلوج .

المتفجرات تدوى
والحديد يصرخ
والرصاص يلعلع من الرشاش الغاضب . . .
وجندى المشاة وسط هذا الجحيم ،
وسط اللهيب
يتحسس واجبه العصيب .

من عام لعام
يخوض كفاحه القاسى
ويبنى مصير الأجيال
الحالية والقادمة
لمئات السنين
فى خضم الهجمات العملاقة .

تصونه البسالة
لفرحة العمل
فيقدم للوطن
هدية النصر الرائعة .
الفخر يملأ فؤادي
لأني أعيش معه
ولأن أنشودتي هذه
ساعدته .

١٩٤٣

الى صوفيا كريفس

اللهيب يصارع جدران المدفأة الضيقة
والصمغ على الحطبة يلمع كالدموع ،
والقيثارة تغني لي فى السقيفة
وتحكي لي عن ابتسامتك وعينيك .

همست لى الشجيرات بأخبارك
وسط الحقول الثلجية فى ضواحي موسكو .
أريد لك أن تسمعى
حنين صوتي الحزين .

أنت بعيدة الآن
تفصل بيننا رحاب الثلوج
ما أبعدني عنك
وما أقربني الى الموت !

غني يا قيثارة رغما عن العاصفة
ونادي السعادة التائهة .
فالحب المستعر فى فؤادي
يدفئ السقيفة الباردة .

١٩٤١

قسطنطين سيمونوف

(١٩١٥ — ١٩٧٩)

ولد في بتروغراد في عائلة عسكري . بدأ بنشر كتاباته عام ١٩٣٤ . مارس الكتابة في عدة أنواع ادبية تجسد عالم معاصريه ذوي الحس الرهيف ازاء متطلبات الزمن وترسم صورا ادبية لأناس يتحلون بالشعور بالواجب الوطني والبسالة الفائقة .

واشتهر اسم سيمونوف على الخصوص ابان وبعد الحرب الوطنية العظمى التي خاضها الشعب السوفييتي ضد الغزاة الهتلريين بصدور ديوانيه «معك وبدونك» (١٩٤٢) و«الأصدقاء والأعداء» (١٩٤٨) . ومن أشهر مؤلفاته النثرية قصة «أيام وليال» (١٩٤٣—١٩٤٤) (ترجمها الى العربية غائب طعمة فرمان) وثلاثية «الأحياء والأموات» (١٩٥٩—١٩٧١) المكرسة للحرب الوطنية العظمى والتي منح الكاتب عليها جائزة لينين (١٩٧٤) (يعكف على ترجمتها الى العربية خيري الضامن ، وصدر الكتاب الأول منها بالعربية عام ١٩٨٥) .

وكان سيمونوف فضلا عن ذلك كاتبا مسرحيا وصحفيا وناقدا ومترجما .

الى ف . س .

انتظريني ، وسأعود .
انتظريني بكل ما تستطيعين .
انتظريني عندما تلقى الأمطار الصفراء
ظل الكآبة ،
وعندما تكنس الثلوج
ويحل القيظ ،
انتظريني عندما لا يُنتظر الآخرون ،
عندما يطويهم النسيان .
انتظريني عندما لا تصل رسائل
من الأماكن النائية ،
وعندما يمل جميع المنتظرين .

انتظريني ، وسأعود ،
ولا تتمنى الخير
لمن يتصور متأكدا
بان وقت النسيان قد حان .
انتظريني حتى لو صدّق ابني وأمي
باني لم أعد على قيد الوجود .
انتظريني حتى لو تعب الأصدقاء من الانتظار
واحتسوا النبيذ المر
فى مأتمي

حول موقد النار ،
انتظري ولا تستعجلي
معهم فى تأبيني .

انتظريني ، وسأعود
رغم الموت ، رغم الموت .
وليقل الذين لم ينتظروني
بأنك «محظوظة» .
فالذين لم ينتظروا
لن يفهموا
بان انتظارك
أنقذني من اللهيب .
ولن يعرف أحد سوانا
كيف تخلصت من الموت :
فأنت تجيدين الانتظار
أفضل من اي كان .

١٩٤١

الوطن

ينبسط ملامسا ثلاثة محيطات
ومغطى بالمدن
وبشبكة من خطوط الطول ،
ينبسط شاسعا قاهرا مرفوع الهامة .

فى اللحظة التى تمسك فيها
بآخر قنبلة يدوية
فى تلك اللحظة الخاطفة
تتذكر فى الحال كل ما تركناه هناك بعيدا .

تتذكر ليس البلد الكبير
الذى عرفته وطفت فى ربوعه ،
تتذكر الوطن
بالصورة التى رأيته بها فى طفولتك .

بقعة من التربة الملتصقة ، شجيرات البتولا الثلاث ،
الدرب البعيد وراء الغابة الصغيرة
الجدول تحت القنطرة الركيكة
الضفة الرملية تضللها صفصافات واطئة .

فى هذه البقعة ولدنا وحالفنا الحظ
فى ان نجد ، مدى الحياة ، حتى الممات ،
حفنة من التراب
نرى فيها معالم الأرض كلها .

أجل ، يمكن للمرء أن يبقى على قيد الحياة
فى القيظ والزوابع والصقيع
فى الجوع والبرد ، يتقبل الموت . . .
ولكن لا يجوز له ان يسلم لأحد هذه الشجيرات الثلاث
طالما هو على قيد الحياة .

١٩٤١

الكسندر تفاردوفسكي

(١٩١٠ — ١٩٧١)

ولد في قرية زاريتشيه في مقاطعة سمولينسك . وتميز منذ بداية طريقه الادبي بمعالجة القضايا الاجتماعية الحادة في ملحمته «بلاد الأحلام» (١٩٣٦) التي تتحدث عن اشاعة النظام التعاوني الكولخوزي بين الفلاحين الذين تفهموا بتجربتهم الخاصة جوهر الاشتراكية ، وفي دواوينه «الطريق» و«سجل الريف» و«ما وراء الجبل» .

وتعتبر ملحمة «فاسيلي تيوركين» (١٩٤١—١٩٤٥) شاخصا هاما في نتاج الشاعر فهي تجسيد ساطع للطبع القومي الروسي ومشاعر الشعب عموما في عهد الحرب الوطنية العظمى . وكانت ملحمة «منزل على الطريق» (١٩٤٦) مشبعة بأنفاس الحرب التي وضعت أوزارها قبل عام من صدورها . وهي في الوقت ذاته مشبعة بروح مقاومة قوى السلام المناهضة للحرب . اما ملحمة «الآفاق المتلاحقة» (١٩٥٣ — ١٩٦٠) فهي تأملات غنائية عن سير الزمن وواجب الفنان .

وقد منح الكسندر تفاردوفسكي جائزة لينين وجوائز الدولة في الاتحاد السوفييتي .

* * *

عندما وضعت الحرب أوزارها
ودوت كل الماسورات تكريما للنصر
حلت ، فى الاحتفالات ، لحظة متميزة
لحظة خاصة لنفوسنا .

فى آخر الدروب ، فى الطرف البعيد
وسط لعلعة طلقات السلام
ودعنا لأول مرة كل الشهداء
كما يودع الأحياء الأموات .

وقبل ذلك لم نودعهم فى أعماق الفؤاد
توديعاً نهائياً كما فعلنا الآن .
كنا معهم على قدم المساواة
لا تفرّق بيننا الا السجلات .

سرنا معهم على دروب الحرب
فى وحدة كفاحية اخوية حتى الأجل
تنير وجوهنا أمجادهم العصيبة
كنا قريبين دوماً من مصيرهم .

وهنا ، فى هذه اللحظة المتميزة
المفعمة بالعظمة والأسى
انفصلنا عنهم الى الأبد :
فرقت بيننا هذه الطلقات .

حديد الماسورات الصارخة
أوحى لنا باننا لن نكون بين الخسائر ،
ويبتعد الشاطئ المملوء بالرفاق
ملفعا بغلالة من الضباب .

احسوا هناك عبر الأيام والسنين
بموجات الطلقات تحملنا بعيدا عنهم
وهم عاجزون عن التلويح لنا بايديهم
ولا يتفوهون بكلمة ، فهم صامتون .

هكذا ودعنا رفاقنا فى العيد
خجلين من المصير الذى رأف بنا ،
ودعنا اولئك الذين كانوا
لا يزالون معنا فى الصفوف فى آخر يوم للحرب .

واولئك الذين لم يجتازوا
حتى نصف طريقها العظيم
واولئك الذين لا يزال التراب
يهال على قبورهم قرب الفولغا .

واولئك الراقدين على أسرّة الثلوج
فى أقرب ضواحي موسكو
اولئك الذين استشهدوا
فى الخط الأمامى فى أول شتاء للحرب .

واولئك الذين قضوا نحبهم
دون أن يؤملوا فى قدسية مثواهم الأخير
تحت تلة التراب
الذى اهالته عليهم يد رفيقة .

ودعنا جميع الذين تفاوتت مصائرهم
ممن حازوا على رتب عالية قبيل الوفاة
ومن ظلوا جنودا بسطاء
فالوقت الذى منحتهم أياه الأقدار قصير .

ودعنا جميع الذين فارقونا
وكانوا قد تفيأوا فى ظل واحد عظيم
ظل الرايات المنكسة الآن
ودعناهم جميعا ، فردا فردا .

وسكت هدير الطلقات .
ومر الزمن سراعا
ونزعت البتولا والصفصاف والبلوط الحانية على القبور
حلتها الخضراء مرارا وتكرارا .

وستظهر البراعم والأوراق مرارا وتكرارا
سيكبر أبناؤنا وأحفادنا .
لكن هدير الطلقات فى كل الأعياد
يذكرنا بذلك الفراق المهول .

نحن على العهد باقون
ليس بمقتضى العادات
وليس فقط لان رياح الحروب
تعصف بلا انقطاع .

دروس البسالة مسطرة
فى خلود الذين تناثر رفاتهم
ستبقى مسطرة
وان كانت ضحايا تلك الحرب آخر التضحيات .

هل نستطيع أن نعيش فى هناء
اذا كنا قد تركناهم بعيدا هناك
واذا كنا لا نرى الأرض بأعينهم
ولا نسمع العالم بأسماعهم ؟

هل نستطيع ان نجتاز دربنا المقدّر
ونصل الى عتبة الموت
دون أن نتحسس بافئدتنا فى آخر المطاف
ما يستحسنونه فينا او يستهجنون ؟

فهل نحن أعشاب ؟ وهل هم أعشاب ؟
كلا . لا بد من وجود صلة بيننا .
القول الفصل لصلة القربى
التى لا يطالها حتى الموت .

أناديكم فى كل أغنية جديدة
يا من سلكتم درب الشهادة
فى تلك المعركة العالمية
من أجل السعادة العسيرة على الأرض .

أناديكم مثلما أنادى الأحياء
لن تسمعوا كلماتى فهى صماء ،
سطر اصم على سطر ،
ولكنكم كنتم معنا هنا وسمعتموني .

أنتم تعرفون اسمى . أخذتم معكم
جزءا مني على قصاصة من جريدة الجيش
الى تلك الأصقاع البكماء
حيث لا يعود رجال الاستطلاع .

أنا مدين لكم يا أصدقائى
مثلما أنا مدين للأحياء ،
واذا كذبت يوما بسبب ضعفي
ومشيت على الأثر الممنوع

وقلت كلمات لا توحي بالثقة
سوف أسمع ملامتكم الصامتة
قبل أن أذيع كلماتي
وقبل أن أعرف رأى الأحياء فيها .

حكم الشهداء لا يقل عن حكم الأحياء .
فؤادي ، حتى الممات ،
يداري صدى الطلقات ،
طلقات النصر والوداع العظيم .

١٩٤٨

تأملات فى الفتوة

نحن نقدر قيمة المستقبل
ونعرف ان الحق مع الفتوة
فهى ليست عشبا طريا
يحل محل العشب الشائخ
ليعيش حتى نهاية الخريف .

كلا ، فللفتوة مهمة أخرى
تسير بها على اثرنا الساخن
لتكمل القضية التى بدأناها
متجهين نحو الهدف المنشود .

عليها أن تسير وراءنا
على نفس الطريق
لكنها ستسير أبعد منا
وستؤدي ما لم نتمكن منه
وربما ستتذكرنا من قمة منجزات أعلى
ستتذكر أبطالنا وشعراءنا ،
ووزراءنا وتبتسم أحيانا .

يا فتياننا الأعزاء
عندما ترتقون الذرى باندفاع
لا تغتروا
ولا تحاسبوا الآباء .

لا تنسوا أبدا
بان لنا بعض الفضل
فى مجدكم اللامحدود
فقد توقعناه من زمان .

نعرفه من زمان
وكنا نحلم به ونحن فتيان
وكان أباؤنا يتطلعون
الى نفس تلك الآفاق البعيدة .

حققوا مأثرتهم الكبرى
الموشاة بغلالة الزمن

فاقتحموا قصر الشتاء بدون عوننا
ولكننا ، معهم ، اقتحمنا برلين .

أنتم تعرفون يا شباب
باننا انشأنا مناجم الفحم الضخمة
لأجل المعمورة بدون عونكم
ولكننا نروض الفولغا معكم .

وعليكم أن تعرفوا
ان شبابا سيأتي بعدكم
شباب المستقبل
ليحل ، فى العمل ، محلكم
ويؤدي واجبه .

ولكننا لا نحسد ذلك الشباب
نحن نرى تباشيره
ولسنا اكبر منه سنا ،
كلا ، لسنا اكبر منه !

١٩٥١

° ° °

لا أعرف طعم الراحة
لا فى الليل ولا فى النهار

ديوني تلاحقني
تطاردني بقسوة .

أنا غارق فى الديون
لبشر كثيرين
ما أعظم مصيبتي
ان لم اتمكن من تسديدها .

كيف أسدد المعروف والاحسان
والدفء والمشاطرة ؟
كيف أسدد ما أخذته روحي
وما جعلني أتذوق طعم السعادة ؟

يخيل لى أحيانا
بأني سأسدد كل ما عليّ
وأحيانا يخيل لى
بأني عاجز أطلب مهلة .

تنتابني الشكوك من جديد
وتنهار قواي
يا للمصيبة . الناس يسألونني
كيف حالك ؟ وأجيب : — لا بأس . . .

أنا متعب من هذه اللعبة
من هذا السر المر

10-1225

وكأني أركب قطارا
بلا تذكرة .

وكأني شرير مقيت
يعيش فى خوف دائم
وكأني كسبت أفضل الأصدقاء
بالغش والخداع .

أرهقني التفكير بهذه الأمور
وأتعبني أشد التعب
ماذا لو وضعوا حدا لذلك ؟
سأبقى وحيدا .

سأظل وحيدا
اعلك الأسى والكآبة

لا أعرف طعم الراحة
لا فى الليل ولا فى النهار .

ما أتعسني !
ما ذنبي حتى أعاني ليل نهار ؟

. . . ماذا تتصور ؟
هل تعتقد ان السعادة شيء بسيط ؟

١٩٥٥

° ° °

كل القضية فى شيء واحد :
ما أخفيته حتى الآن
لا يعرفه أحد سواي
من الأحياء والاموات .

لم أستطع أن أقول تلك الكلمة
لأحد أبدا ،
لا أئتمن عليها أحدا
حتى تولستوي .

فأنا انسان فان . وأنا مسؤول عما عندي .
يشغل بالى ، كل حياتي ، شيء واحد :
أريد أن أقول ، كما أريد ،
ما لا يعرفه أحد سواي .

١٩٥٨

مكسيم تانك

ولد تانك (واسمه الحقيقي يفغيني ايفانوفيتش سكوركو) عام ١٩١٢ في قرية بيلكوفشينا البيلوروسية في عائلة فلاحية . وقبل تحرير بيلوروسيا الغربية (ايلول ١٩٣٩) في ظروف العمل السري كان مسؤولا في اللجنة المركزية لكومسومول بيلوروسيا الغربية ، وتعرض للاعتقال مرارا . نشر أولى قصائده عام ١٩٣١ . وصدر أول ديوان له بعنوان «على مراحل» (١٩٣٦) على حساب الحزب الشيوعي وصادرته الرقابة . وابان الحرب الوطنية العظمى عمل في جرائد الجبهة والانصار . وفي عام ١٩٤٤ نشر ملحمة كبيرة بعنوان «يانوك سياليبا» ، وفي عام ١٩٤٥ صدر له ديوان «حدّوا السلاح» . ومن مؤلفاته في السنوات التالية «كي يعلموا» (١٩٤٨) «على الصخر والحديد والذهب» (١٩٥١) و«أثر البرق» (١٩٥٧) و«خبزي اليومي» (١٩٦٢) و«جرعة ماء» (١٩٦٤) . وتتميز أشعار تانك باقتران الحماسة الرومانسية الرفيعة بالتصوير اللفظي الملموس . وهو شاعر واسع الافق ذهنيا ، يغترف من الفلكلور البلوروسي ويلجأ في الوقت ذاته الى الأشكال الشعرية العصرية الصرف الى حد الشعر الحر . فى عام ١٩٦٨ منح لقب شاعر الشعب في بيلوروسيا .

خبزي اليومى

يشغلني مسقط رأسي وربوع طفولتي
حيث الحصاد والنوم الهادئ
يشغلني أن تتوفر المساكن لكل الناس
وأن تزدهر الأشجار فى الربيع
وقد أصبحت اهتماماتي هذه
هى خبزي اليومى . .
وكان أحيانا خبزي مرّا لامتزاجه بالتراب
وأحيانا أخرى كان مالحا من الدموع ،
وساخنا من البارود فى بعض الأوقات
لكنه كان لذيذا دائما ، وذا نكهة
وبخاصة حين كنت أقتسمه مع أصدقائي
لا تضعوا غير خبزي اليومى هذا
فى حقيبتي حين أخف للمسيرة
لا تضعوا سواه على مائدتي
التى أجلس اليها مع ضيوفي
بل . . لا تضعوا سواه فوق صدري
عندما يوافيني حيني . .

ليونيد مارتينوف

(١٩٠٥ — ١٩٨٠)

ولد بمدينة أومسك في سيبيريا . في عائلة خبير السكك الحديدية . ومارس العمل الادبي اعتبارا من عام ١٩٢١ . وصار مراسلا للصحف والمجلات في العشرينات والثلاثينات وقام برحلات كثيرة في ربوع سيبيريا وكازاخستان . ونشر عدة مجموعات من المقالات . وصدر أول ديوان شعري له في أومسك عام ١٩٣٩ . وبعده صدر ديوانا «ملاحم» (١٩٤٠) و«الشاطئ المسحور» (١٩٤٥) . ويصور في «الملاحم» لوحات زاهية للمعيشة الأصيلة القديمة في سيبيريا . والموضوع الرئيسي للملاحم المكرسة لحياة السلف هو العمل الخلاق والنشاط المبدع للناس . وفي «الشاطئ المسحور» يتجلى الجانب الرومانسي من موهبة مارتينوف . فهو اذ يحول الواقع الى صور شاعرية يرفض في أشعاره المفهوم المبتذل الجامد للعالم . وفي سنوات ما بعد الحرب نظم الشاعر مجموعة كبيرة من القصائد الغنائية الفلسفية التي تدل على حس رهيف بالتغيرات في حياة المجتمع . ومن مؤلفاته الأخيرة ديوانا «حمل الارض» و«عقدة العواصف» ، وترجمات كثيرة لشعراء مجريين . وألف كتابا من القصص عن سيرة حياته بعنوان «الفرقاطات الجوية» .

* * *

أرأيت الى عابر السبيل
يجوب المدينة ؟
هل صادفته
يجوب المدينة ؟
لعله قادم من بعيد
فهو لا يشبهنا .
تارة يظهر هنا وتارة هناك ،
فى المقهى او فى دائرة البريد ،
يشرب الماء
او يتلفن ،
ويكرر القول دوما :
— لا تقلقوا ، لن ابقى طويلا .

عابر السبيل أنا !
عمري ثلاثة وثلاثون .
دخلت عليكم منازلكم من أبوابها الخلفية
نمت على الأرائك البالية
وتصفحت ألبومات العوائل
واغتسلت كل صباح فى غرفة الاستحمام
وكنتم تقولون

«هذا ضيف ، كنا ننتظره ،
لكنه ضيف ثقيل .
لا نخجل منه ، منزلنا ، عمره ، ما عرف الترتيب» .
وقلتم لجاركم بايجاز — هذا ضيفنا ،
وتجاذبتم معي أطراف الحديث :

— هل ستبقى عندنا طويلا هذه المرة ؟
— كلا . .
— لماذا ؟ تعال نتغدى .
— كلا .
— لا تستعجل . اشرب الشاي على الأقل ،
خذ قسطا من الراحة ، واعزف على الناي بالمناسبة .
أجل كان عندي ناي ، مزمار سحرى ،
أغلى من الذهب ،
أعزف عليه أغنية واحدة
«على شاطئ البحر المقوس النائى قصر رائع»
وأعزف كل مساء هذا اللحن على الناى .
وأقول للناس : افهموني
حدثوا معارفكم ، اهمسوا لجيرانكم
عجلوا يا أصدقائي ، فسأرحل قريباً !
سأرحل الى الزمرد الوهاج
الى الأحجار الكريمة القابعة فى بطون الأرض
الى كريات الكهرمان الثقيلة على شاطئ البحر ،
هلموا معي الى هناك ، الى شاطئ البحر المسحور
فلا أروع منه ولا أبهى !

وجاء أناس شتى
استثارتهم الأغنية
جاء أناس كثيرون
تحشدوا صفا طويلا عند العتبة
وسأل عامل بناء بلهجة صارمة :
— أين هذا القصر ، ما هى أوصافه ؟
وسأل معلم التاريخ :
— من الذى اكتشف الشاطئ المقوس النائى ؟
ولم احر جواباً آنذاك . . .
وجاء جيولوجي وزعم أن موارد الشاطئ
ليست كبيرة لتستحق عزف الأغاني على الناي .
وجاء شيخ أشعث
من هواة المطالعة :
— دعوتنا الى الشاطئ المقوس النائى ،
الشاطئ المسحور موجود فى الأدب الشعبى فقط .
وراح كسول فى بجامة مخططة
يقهقه ويقول : تبنى حصونا على الرمال .
وانهمك الجيران فى الكلام :
— ماذا ؟
— الشاطئ النائى ؟
— أي ناع ؟
— من الداعي ؟
— عم تتكلمون ؟ ما القضية ؟
— الحنفية ؟
— الحنفية صالحة .

— لا تسكبوا الماء على الأرضية .
— تمهلوا . عازف الناي عند الجيران .

أخذت الناي بارتياح
والأطفال الجالسون قربي يصنعون الأقواس
والأمهات العابسات يولولن بغضب :
— الحكايات حكاياتك ، لكن الأطفال أطفالنا .
في البداية حاول ان تربي أطفالك
وبعد ذلك يمكنك أن تدعو الناس الى الشاطئ النائي .
خبأت الناي في جيبي
لماذا لم ارتحل حتى الآن بالقطار السريع
الى هناك ، الى الشاطئ المقوس النائي ؟
لو ارتحلت لوصلت من زمان
الى الجبال ، الى الرحاب الشاسعة
اوضحوا لمعارفكم اهمسوا لجيرانكم
اهدأوا ، يا أصدقائي ، فسأرحل قريباً
سارحل ويخفت غضب الشيوخ
ولن تزعل الأم الغاضبة على طفلها
وستكف ألسنة الجيران عن الثرثرة
ويبقبق الماء في الحمّام
وينتفض زنبرك الاريكة بصرير
ولكن قولوا الحقيقة
لم ادعُكم الى هناك عبثاً
حانت الساعة فغصت الشوارع والحدائق
وسرتم جميعاً ورائي

سرتم ورائي
ورائي
كلكم ورائي حتى الشيخ الأشعث
حتى الكسول في بجامته المخططة
والأطفال الأبرياء وهذه المرأة الغاضبة
والبرغوث من الأريكة . . .
هذا الصفاء البارد في قصر الفجر
وهذا الهدير الوادع لأمواج المحيط
كلنا معاً
أنا لا أمارس السحر مطلقاً
وأنتم ورائي لأسباب شتى
اهدأوا
لا تقلقوا
فأنا أقودكم على درب واسع واضح
عابر السبيل لا يقودكم الى الهاوية
عابر السبيل سريع الخطى ،
وجهه لا يشبه وجوهكم ،
تفوح من بدنه الضخم
ومن معطفه الفرو
رائحة الجلد الأسمر
. . . الأنهار والأجمات والسهول وكآبة الشواطئ .
الا ترون سفوح الجبال عبر الضباب ؟
هناك ، وراء الجبال ، يتململ البحر .
بحر وجبال ، جبال وبحر ، فأين الشاطئ المقوس ؟
أين الشاطئ المقوس ؟ أين شاطئك المسحور ؟

تباشير الثلج

انصرف فى أول المساء
وقال :
ـــ لا تنتظريني . أشغالي كثيرة . . .

جاءت تباشير الثلج
حطت على الشارع
فارتدى حلة بيضاء .

طلب من البائعة فى الكشك
قدحاً من النبيذ

فكر فى نفسه
«أشغالي كثيرة . . .
لست مذنبا» .

تلفن من ساحة المدينة :
ـــ نائمة ؟
ـــ كلا .
ـــ لست نائمة ؟ ماذا تفعلين اذن ؟
ـــ أحبك !

. . . عاد فى الضحى
حدق فى الغرفة
كما فى غابة الشتاء
فى الغابة الأغصان سوداء
والجذوع سوداء
فى الغرفة الستائر سوداء
والأركان سوداء
والأرائك سوداء داكنة
تتزاحم صامتة . . .

مالت برأسها اليه .
فرأى فجأة
ما قد لا تريد هى أن تراه .
من أين جاءت هذه الخصلة
فى الشعر الذهبى الدافئ ؟!
لمس الخصلة برفق ،
فهى عزيزة عليه ،
وادرك قيمة الذهب الصافى
ذهبها الذى دفعه ثمنا لمبيته هناك .

وسألته :
ـــ ما هذا ؟
فأجاب :
ـــ تباشير الثلج !

الماء

سالَ الماء
تفضل علينا
وسال !

لمع صافياً ، رقراقاً
فاشفقنا
أن نشربه
ونغتسل فيه

لذاك سبب
سبب وجيه

الماء يحن الى الصفصاف
والبراعم المتفتحة

يحن الى الأشنات
والأسماك السمينة

يحن الى التموج فى النسيم
والجري فى كل الأرجاء
يحن الى الحياة
هذا الماء
الصافى
المقطر !

الصدى

لا أدري ماذا حدث لي
أكلمكِ وحدكِ
ولكن كلماتي تتكرر وراء الجدار
وتدوي آنذاك
فى أقرب الأجمات وأبعد الأكمات .
فى مساكن الناس القريبة
وفى محارق الرماد والأجساد
فى كل مكان يغص بالأحياء .
هل تعلمين ؟
المسافات لا تعيق القهقهات والتأوهات
فالصدى قوى لحد يثير الدهشة
ربما كان ذلك من سمات العصر !

° ° °

بماذا تشعر
ايها الانسان العادى
البسيط
البعيد عن العلم
فى هذا الكون المتسع
كما يزعمون ؟

هذه المجادلات عن الاختلاط الأحمر
والضجيج المثار حولها
لا تربك
ذهنك

وعندما تراقب
تراكض المجرات
فى ضباب الكون
تتطلع
الى الأرض
بعين الممارس العملى
وليس العالم النظرى .

كل شىء هنا
يسعى
الى التقارب والاندماج
الطيور تجتمع فى أسراب
والقمح يصب فى الصوامع
والناس المتعبون من اللعنات والصلوات
يميلون الى بعضهم البعض
لينجح العمل الملهم
وتحلق الأفئدة البشرية
باجنحتها فى هذا العالم
فى هذا الكون
المتسع
بلا حدود !

* * *

ظاهرة جديدة
فى العالم .
البشرية تهوى الأغاني
والناس يريدون الناي والقيثار
فالعالم ممل
بلا أغان .

الريح
والأغصان
ورطوبة الربيع
وأوراق الموسم المنصرم
سوداء كالمخطوطات المتفحمة
البشرية تهوى الأغاني
والناس على حق .

أنا أجوب
هذا العالم
أبحث عن هذا القيثار
عن الأوتار
تلمسها أصابع مرتعشة
ملهمة .

المدن والقفار
والصخب الشبيه بضربات موج البحر . . .

الجنس البشرى يهوى الأغاني
هذه هى الأوتار
مصنوعة من النحاس او الفولاذ
ليست أرق من أسلاك التلفون
وليست أكثر سمكا منها .
انها تستعطفني :
— إلمَسْنا !

ولكن ما كدت ألمَسُها
حتى سمعت دوياً بعيداً
فى الآفاق الملفعة بالضباب
وراء الغشاء المرتعش .
العبد العارى يعدل قامته
والمجذوم يتماثل الى الشفاء
والمقتول ظلماً يبعث من جديد .
ماذا حدث ؟
ويجيب القيثار
— هذا أنا . ألا تصدق ؟

براعم الأشجار تتفتح
ومن الشَعر تصنع الفرشاة
والقماش يتشقق
والعفن يزول مغسولا . . .
وتفوح رائحة الفن .
فالبشرية تهوى الأغاني .

الأوراق

كانت مستقرة
على الرصيف

ثم جن جنونها
وتغير لونها
وراحت تتراقص
فى خبال

صحت بها :
— من أنتن ؟

وسمعت حفيفاً يقول :
— نحن أوراق
صفراء ، صفراء ، صفراء
كنا نحلم برسام
يُؤوينا فى منظر خلاب
لكن اليد التى توجه الفرشاة
لا تحبنا
فوداعا
وداعا .

فاسيلي فيودوروف

(١٩١٨ — ١٩٨٤)

ولد بمدينة كيميروفو في سيبيريا في عائلة عمالية . بدأ حياته العملية في سن مبكرة حيث عمل في أحد الكولخوزات ثم صار اسطى في مصنع . ونشر قصائده الأولى عام ١٩٤٤ في جريدة المصنع . وفي عام ١٩٥٠ تخرج من معهد غوركي للآداب . وتتغنى قصائد فيودوروف بالعمل وبالأمجاد العسكرية للمواطن السوفييتي . كما ان أشعاره الغنائية تتميز بالصدق والاخلاص والحماسة الاجتماعية الشديدة . وكان من أبرز الشعراء الملحميين حيث صدرت له ملاحم رائعة مثل «الخميلة البيضاء» (١٩٥٦) و«دوسيا كوفالتشوك» (١٩٥٧) و «الدموع الأولى» (١٩٥٨) و «مكمن الذهب» (١٩٥٨) و «الهدية اللينينية» (١٩٥٤) و«فينوس المباعة» (١٩٥٨) و «السماء السابعة» (١٩٦٨) . وأهم دواوينه الغنائية المتميزة بالنزعة الوطنية العميقة هي : «قصائد عاطفية» (١٩٦١) ، «كتاب الحب» (١٩٦٤) و «اللهيب الثاني» (١٩٦٥) و «ديوك الضحى» (١٩٦٦) .

الأفئدة

علمتنا المحن
أن الافئدة ،
اذا تركناها خاوية ،
فى لحظات التصادم النفسانى ،
تقع فى الحال فريسة بيد العدو
ينهشها ، يجهز عليها
يصفى الحساب معها
ومعنا . . .
الأفئدة
مرتفعات حربية
لا يجوز الانسحاب منها .

أنا معك يا روسيا

طريقك جليل
وحملك ثقيل

الصخور تتفتت
تحت قدميك
اما أنا
فأعيش القرون
عبر القرون
وأسير ، أسير
معك يا روسيا .

عندما تثر الأنشوطة
فوق الرؤوس
ويندلح صخب الولائم
فى القرى والأرياف
تداهم الشيخوخة الآخرين
يلامس المشيب شعورهم
اما أنا
فأغدو أشقر الشعر
أغدو روسياً أشقر .

فى حياتي السالفة
كنت ذليلا مهانا
تحت حذاء القوة
تحت حذاء الجهالة
والآخرون تحت الحذاء
أقزام بطول الأعشاب
اما أنا

فقد كبرت
وغدوت عملاقا .

كان الدم
أرخص من الخمر
الدم يراق عبثا
بلا تبصر
والآخرون مهتاجون من زمان
بقلوب مليئة بالقساوة
اما أنا
فقلبي ملىء
بطيبتك .

حفظت أغانيك
أغاني السهوب
حملتها الى الزوابع
والرياح
والثلوج .
عاصرت كل القرون التى أنت فيها
وعاصرت ثورتك المجيدة .

صرنا أنا وأنت
أحدث عهدا
وأكثر فتوة
لكن دربك

فى العالم الطيب
المضاء بأشعة النجمة الخماسية
صار أكثر تعرجا
ومهمتي
صارت أكثر تعقيدا .

الواقف على الجبل
يستقبل الشروق
قبل الآخرين .
والمحاط بالاصدقاء
لا يحق له استخدام القوة
والسائر فى المقدمة
مسؤول عن كل الاخطاء
فى الدرب الوعر .

الحكيم ينشد الصداقة
ويحرص على الأصدقاء
والمناضل لا يفرّط
فى قواه
فالمحيط العظيم
حالما يتململ
تهتز البحار
فى كل مكان .

الصخور تتفتت
تحت قدميك . . .

وأنا أسير
ليس فى المقدمة
ولا أفضل من الآخرين
فى ماضيك السحيق
لكنني أتمنى
فى مستقبلك الوضاء
أن أسير ، وأسير
معك يا روسيا .

الضرير

ها هو الضرير
فى الشارع يسير
يتحسس دربه بعصاه .
ولا يرى شيئا سواه .

يدفعه المارة مسرعين
ويعتذرون منه مستعجلين
ويصيح أحدهم :
— يا ناس لا تتدافعوا
ارفقوا بالضرير

ويتهادى صوته الخفيض
وسط الصخب البشرى :

— لا تهتموا ، ادفعوني . . .
فسأعرف ، عندئذ ، أنني بين الناس .

هيلانة

لم يصدّقوا قائلين :
أسطورة !
لكن القصور
والأسوار التى احتلت
عبر المعارك
أثبتت من زمان
صدق هوميروس العجوز
عندما أنشد مرثية طروادة .

مر الخلود عليها
بعد سقوطها
وغطى أسوارها المهدمة
بالتراب
ولا مذنب هناك
غير هيلانة الحسناء
المذنبة فى كل شىء .

لا جدال
فى الدموع والآلام والمصائب

لا جدال
فى شبق «زيوس»
عندما دخل حمام «ليدا»
كذكر البجع المنتفض .

وولدت هيلانة الرائعة
وحجب حسنها
جمال الفجر فى ايجه
وتزوجها فيما بعد
منيلاس ملك اسبرطة الصارم .

الجمال غريب الأطوار
والحب مبعث القتال
ولا جدال
فى فتوة باريس
عندما انتزع هيلانة من الملك .

لا جدال
فى أن فؤاد منيلاس
ينتفض بشدة عند بوابة المدينة
ولا جدال
فى بسالة الآخيين
عندما أقسموا
بأنهم لن يحلقوا لحاهم .

السنون تمرّ سراعا . . .
وانهيار قصور فريام

لا جدال فيه
الا أن الجدال كل الجدال
فى ضعف ذاكرة المقاتلين
فيما يخص أمور الحياة .

استولى الأسى
على منيلاس
ونهش زبد البحر
خشب السفن
وداهمت الشيخوخة
هيلانة الحسناء
وعاشت بنيلوب
مع الأحزان .

بعد تسع سنوات
صار الآخيون المتعودون على القتال
بالرماح والخناجر
يتعثرون
بلحاهم الطويلة .

نسوا الجمال الرائع
مضرجين بالدماء
مجللين بالأسى
منشغلين بالحصار
بعدما أبحروا

وراء الفتوة
وراء الجمال المدهش

. . . نحن نقاتل ايضا
وندمر القلاع
ولكنني أتمنى
أن لا تطول لحانا مثلهم
ولا تغطى أرواحنا
ونحن منهمكون فى الكفاح العادل .

دافيد صموئيلوف

ولد صموئيلوف (واسمه الحقيقي كاوفمان) عام ١٩٢٠ في موسكو . درس في معهد التاريخ والآداب والفلسفة في موسكو (١٩٣٨ — ١٩٤١) . في بداية الحرب الوطنية العظمى تطوع للخدمة في الجيش وتوجه الى الجبهة جنديا بسيطا ثم استطلاعيا . نشر قصائده لأول مرة في الصحافة عام ١٩٤١ . ومن دواوينه وملاحمه «البلدان القريبة» (١٩٥٨) و«المضيق الجبلي الثاني» (١٩٦٣) و«الأيام» (١٩٧٠) و«الموجة والصخرة» (١٩٧٤) و«النبأ» (١٩٧٨) و «الخليج» (١٩٨١) . وتتحدث أشعار صموئيلوف بصورها الفنية الملموسة وزخمها الفلسفي عن مصير جيل الشاعر ابان الحرب وعن ماضي الوطن وحاضره . وهذه الأشعار المقتضبة والبسيطة تلتزم بالتقاليد الكلاسيكية . واشتهر صوئيلوف بترجماته لقصائد الشعراء البولونيين والتشيكيين والمجريين .

الأربعينات

زمان الأربعينات
سنون الحرب والجبهات
عن الموتى بلاغات
وقرقعة القطارات .

وقضبان الحديد تئن
وبرد ورحاب وارتفاع
اولئك نازحون ونازحون
من الغرب الى الشرق توالوا راحلين .

عند محطة السكك الحديد
وقفت وفوق رأسي شبه قبعة
عليها نجمة يدوية الصنع
تراها فوق هامات الجنود .

أجل هذا أنا — مرح
نحيل الوجه والجسد

ويملأ كيسي التبغ
وغليون رخيص الشكل ملك يدى .

أغازل غادة فتانة العينين
وأمشى أدعى عرجا
رغيف الخبز أقسمه الى جزئين
وأبدو كالذى يفهم ما الدنيا ؟ . .

حياة نحن عشناها وكابدنا خباياها
وكانت لي ربيع العمر والأحلام والمحنة والحرب
وقد اختزنتها النفس فى أقصى طواياها
لتصحو بعد أعوام مجددة كما كانت رؤاها .

سنون الشؤم عبر الأربعينات
وأعوام الرصاص الداميات
ونار الحرب تأكل فوق روسيا الرحاب
أما نحن . . كنا نعتلى اوج الشباب .

قبل ميلاد الثلج

شرع التعب يدب الى الماء
هذا اخطار ان الثلج وشيك الاتيان

ملأ الماء الاعياء
من ان يغدو امطارا دوما وجداول
او يتصاعد من جذر النبت ، ويهطل من جوزاء
من ان يشدو ، يتدفق ، يتكثر
او يتلألأ ، ويترقرق ، يتحدر
ويريد الماء المرهق أن يرقد ، أن يفقد صوته .

الماء المتعب أثقل من حمل رصاص
يبرق تحت سماء واطئة بخفوت
أرهقه ان يغدو هو نفسه .

لا بد له أن يفقد احساساته
أن يتجمد فوق الأرض جليدا .

الدنيا غارقة فى صمت وسكون
وتمد شجيرات أغصانا عارية . .
وأوان الطرق الموحلة اللزجة يمضى . .
شرعت تتجمد كل السكك
ولو أن الأرض كما كانت — ما زالت سوداء
أوشك أول ثلج أن يولد . .

دنيانا المثقوبة بالطلقات

أحمد ربـي
حيث تناهب قلبـي
ظفر القلق وناب الكرب
وتعثر ، وتحدر بـي دربـي .

أحمد ربـي حيث جرى ما كان
لي — واندفع جميعا يستهدفني
أحمده أن رصاص جنود الألمان
فى الحرب الكبرى لم يقتلني .

لم أكُ أحكم ضد العصر
بغزارة ما شاهدت صديدا ودما يتفجر . .
ما حدث لنا جميعا ، حدث معي
اما البعض ، فلم تكُ انصبتهمو غير فتات متبعثر

وعلى العصر ، حكمت بمهج أهاليه
وبحق منطلق فيه
ولانا استهدفنا ان نجعله أفضل ، لم نعرف
معنى الخوف . .

ولعل لهذا دنيانا المثقوبة بالطلقات
تصبح أغلى وأعز لدينا فى كر السنوات
شكرا لله فما وقع لنا جميعا
لم يحدث للجيل الوافد يعقبنا .

رسول حمزاتوف

ولد عام ١٩٢٣ في قرية تسادا الداغستانية في عائلة الشاعر الآفاري المعروف حمزة تساداسا . وعمل معلما في شبابه . في عام ١٩٥٠ تخرج من معهد غوركي للآداب . صدر أول ديوان له عام ١٩٤٣ . كما صدرت له ملحمتا «حوار مع أبـي» (١٩٥٣) و«البنت الجبلية» (١٩٥٨) ودواوين «عام ولدت فيه» (١٩٥٠) و«النجوم العالية» (١٩٦٢) و«كتابات» (١٩٦٣) و«نجم يحدث نجما» (١٩٦٤) و«السمراء» (١٩٦٦) و«مسبحة السنين» (١٩٧٣) . كما نظم قصة شعرية بعنوان «داغستان بلدي» . ويتميز شعر حمزاتوف المكرس لحياة داغستان المعاصرة بالصبغة القومية الساطعة والنزعة الغنائية . والشاعر يجيد رؤية الكبير في الصغير ويعكس التغيرات في نفسية الجبليين ونضال الشبيبة ضد العادات والمخلفات القديمة . وفي عام ١٩٥٩ منح حمزاتوف لقب شاعر الشعب في داغستان . كما منح جائزة لينين .

اللقالق

جنود بلادنا من لم يؤوبوا راجعينا
الينا من ميادين القتال الداميات
يخيل لي أحيانا
بأن اولائك الغياب ما اجتدثواه أراضينا
ولكن أصبحوا طيرا ، لقالق هائمات .

ومذ تلك العهود من الزمان
وهم أسراب أطيار ، تحلق وهى تدعونا
أليس لذاك نصمت كلنا أحزان
اذا نحو السماء رنت مآقينا ؟

وانى اليوم أبصر ساعة الغسق
طيور لقالق بيضاء تسرب فى الغيوم
وتتبع نفس ما ألفت تسير به من النسق
قديما حين كانت بشرا تمشى على نحو نظيم .

وها هم يقطعون طريقهم فى الأفق ممتدا
ينادون بأسمائهم بعض الأهالي

---

* اجتدث — اتخذ جدثا ، والجدث هو القبر .

فما أشبه لهجتنا الجبالية مدا ،
بأصوات اللقالق وهى تصرخ فى الأعالى .

وذاك مثلث من طيرها ضفراء
ليذرع فى الغروب السحب وهو مهلهل جهدا
وأبصر فى صفوف الطير موقع طائر صفراء ••
لعل الموقع الخالى مكان لي اعدا

وحين يحل ميقاتي سأمضى
أطير مع اللقالق فى العتمة الزرقاء
أُلقلق من وراء الأفق فى حزن أناديكم
بأسمائكمو يا كل من خلفت فوق الأرض من أحياء .

أهالي الجبال فى زيارة لينين

فى ذلك الحين ، وعبر جبال تربض فى داغستان
كان يؤلف عنه الناس أغانى سار بها الركبان
كان الجند يلاقون الموت بأخدود «أراكان»
واسم «لينين» على شفتي كل منهم يتوهج بالايمان

• ضفر ضفرا : عدا .
•• صفرا — شاغرا ، خاليا .

كان أهالي الأكواخ الضيقة المملقة الدخانة
عنه يقصون لبعضهم البعض أساطير أساطير
واذا غناهم شاديهم عن «لينين» ألحانه
جعلوه يعيد الأنشاد ، وتصفيق أكفهم هدير

«لينين» لديهم كان اسما ذا صيت وذيوع
لكنهمو — أبدا — عبر جبال ونجوع
ما شهدوا صورته — أية صورة . . .
كانت تلك الأيام بداغستان زمان هلوع
ومعارك ضارية ، فالصيف لهيب ونجيع

وكما يحلم بربيع من أرهقه ثلج شتاء
وكما يحلم بالظل المنكوب بظهر نارى الأضواء
كان المتعب والمهدود وصنو الهم
يبصر «لينين» بأحلام اليقظة والنوم .

كانت ترسمه اخيلتهمو :
أطول من شجرة صنوبر ، من جبل مرتفع الهامه
واذا استل من الغمد السيف ، انفرط الأعداء أمامه
فرقا منه ، وولى جمعهمو هربا . . .
كانت ترسمه اخيلتهمو حاد النظرة كالنصل
من تحت الـ«باباخا»• نظرته تلمع ، تنفذ ، تتوغل

• باباخا — غطاء من الفرو للرأس يرتدونه فى القوقاز .

واذ اعتزموا أن يتجهوا لزيارته
وتأهب مندوبو داغستان لبدء الرحله
صنع له الناس بـ«كوباتشى»
سيفا أكبر من كل سيوف قبله
واتم أهالي «اندى» له
صنع عباءة عملاق ما أشمخ طوله

وله حملوا غليونا مزدانا
بألماس ، بأجمل أحجار ألماس وأنقاها
وكذلك أكياسا للتبغ تحلت
بحرير ألوانا . . .
أما داغستان
من بحر القزوين الى «تسومادا»
فاليه بعثت دفء تحاياها

ومضوا عبر جبال وحقول ومدن
والريح تهب على أوجههم
كما عرك اولئك دنياهم ! . .
ما أكثر ما شاهدوه فى عالمهم
لكنهم أبدا ما زاروا من قبل
موسكو عاصمة السوفييت ، ولا مرة .

وهناك بموسكو المحبوبة والخلابه
موسكو العاملة من الفجر الى الليل بعزم وصلابه
حيّاهم حرس عند جدار الكرملين
سمح لهم أن يجتازوا البوابه .

وأمامهم انفتحت كل الابواب
كل الاشياء هنا صارمة ، وتمد لهم أيدي الترحاب
وتقدم يستقبلهم :
لا عملاق جبار
بل رجل ليس مديد القامة ، وبسيط .

فى احدى قاعات الكرملين
وحواليهم جدران تتحلى من نقش بفنون
جلس يحدثهم كأعز أصحاب «لينين»
وهو يزم بلطف — كي يتقى الضوء الساطع — عينيه
يسمع ما هم يبدون من الرأي لديه
يتشاور معهم كخدين
عرفوه من قدم أى خدين ! . .

انخطف الوقت ومرت ساعات كثوان
والداغستانيون سعادتهم ملء حناياهم
حتى كادوا ، لما آذن جمعهمو برحيل
أن ينسوا تقديم هداياهم .

نظر الى الاضياف ببسمة ود وصفاء
وتقبل ما حملوه اليه من الأشياء
«هذا سيف فيه تشع الكلمات المحفورة بضياء»
«وعباءة (اندى) أيضا . . ذا غليون»
ما قال لهم حينئذ لينين :
«أنا لست أحب التدخين»

قالوا له :
«حيث نعيش هناك فى قمم الجبال
لم ير أحد أبدا رسمك يا ايليتش
هل تعطى صورتك لنا . . ؟
نحن نراها أغلى ما تهديه لنا»

وخلال طريق العودة لداغستان
حمى وطيس حوار عن فكر عن المشروعات
آبوا . . ومعهم لاهاليهم سكان المرتفعات
صور لينين وقد كتب عليها كلمات
«مهداة لداغستان الحمراء»

ثمانيات

ويذبل كل ، يملأ الشيب هامته
وتسقط أيام له وليال
ويخسر خلا وافيا وصداقته
وقد ظل يكسبها كصعب المنال .

جوادك لو يكبو لجرح يؤوده
وكرر عثرته ، فما ذاك ريده*

* الريد — الأمر الذى تشاؤه وتمارسه .

فلا تعذلن ولا تبدل بغيره
فأقمن باللوم الطريق تروده .

° ° °

أنا ابن الجبال ، فلم أك طفلا كسيرا
وكم كنت أصمد للوم والضربات
وكم ذا لوى أذني والدي مستجيرا
لفرط جموحي . . ومالي من غلطات .

هذا أنا قد علا بـي عمري . . وهذا زماني
لوى اذني ويلويهما بين حين وحين
كما عازف العود يلوى مفاتيحه بالبنان
اذا ما ارتخى وتر ، وعلا منه نشز لحون .

° ° °

كان فتى من أهل قريتنا
زوجته فاحمة الضفائر
وحين بلغا العشرين من عمريهما
فرقت الحرب التى تفجرت بينهما
تجلس زوج ذاك البطل الذى استشهد فى العشرين
أمام بيتها ورأسها شيبه كى السنين
وابن لها يحمل ذات الاسم ينميه*
ابن لها أكبر عمرا من أبيه . .

° ° °

* ينميه — يرفعه .

كلما شب قتال بين أبناء الجبال
هرعت نحوهمو احدى نساء الحى تلقى
تحت أقدامهم منديلها ضد القتال
عندها كان سلاح من أيادي القوم يهوى .

يا نساء الأرض أسرعن الى الغوث جموعا
قبل أن تشهر قارات الدنى أسيافها حقدا نقيعا
يا نساء الأرض أسرعن والقين المناديل شفيعا
وهى تهمى تحت أقدام الرجالات دموعا ! . .

° ° °

تباغتني يا زماني بطعني
تعاقبني باحتقار مرير
تدين بيومي أخطاء أمسي
وتنف وهمي كعالى القصور
ومن يدرك أن الحقائق تمسى دخانا ؟
لماذا تعاقبني هازئا بـي منتقما ؟
لقد كنت اخطئ بالرغم مني جهارا عيانا
لأني رددت ما قلته كلما كلما ! . .

° ° °

وحتى الذى فى الأرض قسمته عمر
دقائق خمس لا تزيد ثوانيا
مضى راكضا فيها يزامله المكر
كأن قرونا سوف يحيا تواليا

وترقب من بعد جبال صوامت
ضجيج الورى زمنا عصورا جواريا
يجمدها حزن كأن حياتها
دقائق خمس لا تزيد مراقيا*

° ° °

تبكين غيرة على دون جدوى
توجهين اللوم لي وتظلمينني
فلو تذكرت النساء : فتنة وأخرى
فذاك حين أنت تجرحينني
وصدقيني — واذا كنت عليها غضبـي —
ليس لتلك المرأة دور معي مشئوم
فانها تذكرني مودة وقربـي
لو أن رجلا جرحها الى الصميم .

° ° °

كان الرجال فى جبال داغستان
رمز الصداقة وازدهارها بين المشاعر
يهدون صفوة الاحباب والخلان
أغلى الثياب والسيوف والجياد والخناجر

اما أنا . . فانني يا ايها الصحاب
اهدى اليكم قصائدي رمز الصداقة والاخاء

---

* مراقيا — جمع مرقاة وهى الدرجة فى السلم .

فانها لدي أفضل الجياد والثياب
وانها يا اصدقائي صعدتي * السمراء .

* * *

تجهم قرننا العشرون ، قطب وجهه غضبا
فنحن بنوه عار العصر ، لعنته متى كتبا
فما الدنيا رأت من قبل هذا الدم والكذبا
كما شهدته يغمر عصرنا بالخزى منسكبا
وأغمض باصريه قرننا العشرون فى تعب
فنحن بنوه مجد العصر ، صوت العصر فى الحسب
فما ناهضت الدنيا من الباطل والعطب
كما صدتهما فى عصرنا بعزيمة عجب .

* * *

— أتوق أن أرى وجهك . أين أنت يا سعادتي
— أنا فى القمم التى لم ترق نحوها خطاك بعد
— هذا أنا فوق الذرى فأين أنت يا محبوبتي ؟
— أنا فى الأنهر التى ما عمت فيها بعد
— عبرت ألف نهر . . أين أنت ؟ أين أنت ؟
— أنا فى أغنيات ما نظمت منها اي بيت
— فأين أنت ؟ انني أهدى اليك ما نظمت
— أنا فى الأمام . . فاجر كى تلحق بي اذا استطعت .

* * *

* الصعدة — قناة الرمح تنبت معتدلة فما تتطلب تقويما .

الدم . . والدمع

الدم يندفع من غور الجرح ويتدفع . . .
لكن لا تنذرف الدمعة . . بل حتى لا تشرع
فالقانون لدينا
ان الدمعة أغلى
عند الرجل من الدم يتدفق
فاذا انتحب . .
فهل هو رجل حق ؟

* * *

— ايها الشاعر لا تخشَ اعاديك اللئام
أنت خلانك كثر أوفياء وكرام
— واذا خانوا مواثيقى بيوم جد حالك
— لا تخف زوجتك الفضلى ستبقى بجوارك
— واذا خانت هى الأخرى ؟ — ستبقى لك دوما
اجبل الأجداد شما ، تكتسى فى الفجر غيما
— واذن . . ما أتقى ؟ ماذا أخاف ؟ — النفس فاحذر
أبدا لا تخن النفس . . وذا حسبك . . فاذكر .

* * *

الصواريخ مضت تطوى الرحاب الشاسعات
ومرارا وصلت للأنجم النائيات ، النائيات
ليتني يا ايها الناس لكم ، كنت وصلت
أنتم الأنجم سامقة ، فى كل وقت ، كل وقت .

* * *

الى أمّي

شهرتي فى أسرتي ذاعت
بأني كنت وعرا جبليا
لا أطيع الغير قحاما أتيا
كنت يا أمي لا أصغي عنيدا او عتيا
للذى تلقين من نصح اليا .

كانت الأعوام تمضى
وحياتي معها
ما تهيبت
المقادير ولا زعزعها .
غير أني بعد حين صرت يا أمي حيالك
كصبي تملأ الرهبة وجداني أمامك .

وغدونا وحدنا فى البيت . . أنت وأنا
لا أوارى عنك ما يضرم قلبي شجنا
راكعا بين يديك . . .
ينحنى رأسي الذى شيبه العمر لديك .

آه يا أمي كم أشعر بالحزن المرير
فلقد كنت أسيرا أي أسير
لغباء البهرج الزائف فى الدنيا ، وما
كنت أملك كفاء من شعور .

انني أخفق فى أرجوحة صاخبة الدوران
خاطفا جانب آفاق
ولكن . . فى ثوان . .
بغتة ، ينقبض القلب بأحنائي : «تراني
صرت لا أذكر أمي ؟ . .»

واذا أنت بدون اللوم ، بل بالحب يغشى لفتاتك
خالط الاشفاق يا أمي نحوي نظراتك
ثم ناهدت سدى زفرة صدرك
وحجبت دمعة مهراقة فى طى سرك

تومض النجمة فى صدر السماء
ثم يطوى رحلة العودة ذياك الضياء
هكذا بين يديك .
يرتمى رأسي الذى شيبه العمر لديك .

ادواردس ميجيلايتيس

ولد عام ١٩١٩ في قرية كاريفيشكاي اللتوانية في عائلة عمالية . وفي عام ١٩٣٧ انتسب الى المنظمة الكومسومولية السرية . درس في كلية الحقوق في جامعتي كاوناس وفيلنوس (١٩٣٩ — ١٩٤٠) . واعتبارا من عام ١٩٤٣ صار مراسلا صحفيا حربيا ضمن الفرقة اللتوانية السادسة عشرة . وفي الفترة ١٩٤٤ — ١٩٤٦ مارس العمل الكومسومولي . بدأ ينشر نتاجه منذ عام ١٩٣٥ . واصدر دواوين من الشعر الغنائي الوطني والفلسفي : «قصائد عاطفية» (١٩٤٣) و «ريح من الوطن» (١٩٤٦) و«عندليبي» (١٩٥٢) و«أحجار غريبة» (١٩٥٧) و«الشمس في الكهرمان» (١٩٦١) و«الانسان» (١٩٦١) و«رسم نبض القلب» (١٩٦٣) و«الخبز والكلمة» (١٩٦٥) وغيرها . وهو يمارس كتابة النثر الغنائي والمقالات الاجتماعية ، وله لمحات عن سيرة حياته . وقد تشبعت أشعار ميجيلايتيس بالأغاني والأساطير والحكايات الشعبية اللتوانية . ويميل الشاعر الى التأملات الفلسفية متحسسا الترابط العميق بين الانسان والطبيعة . ان فكرة الوحدة والترابط الشامل للعالم واحدة من الأفكار الرئيسية في شعر ميجيلايتيس . كما اشتهرت ترجماته لمؤلفات بوشكين وليرمونتوف وشيفتشينكو الى اللغة اللتوانية . وقد منح الشاعر جائزة لينين (١٩٦٢) ولقب شاعر شعب لتوانيا (١٩٧٤) .

الانسان

أقف مرتكزا على الكرة الأرضية
وأحمل فى راحتي الشمس ،
هكذا أقف بين كرتين
الأرض والشمس

تعاريج المخ وأغواره
عميقة كالمناجم
منها أستخرج كالفحم ،
وأصهر كالفولاذ ،
سفنا تشق المحيط
وقطارات تجوب اليابسة
وامتدادا للطيور أصنع الصواريخ
كل هذا قد استخرجته
من كرة مستديرة كالأرض . . .
هى رأسي .
رأسي قرص للشمس
يشع ضياء وسعادة
يبعث الحياة فى الأرض
ويعمرها بالبشر

ما الأرض بدوني ؟
كرة جدباء منبعجة
ضلت فى الفراغ اللانهائى
ورأت فى القمر كما فى المرآة
صورة قبحها وخوائها .

من شدة وحشتها
خلقتني الأرض ،
وفى لحظة حزن جارف
وهبتني الكرة — الرأس ،
فكم تشبه الشمس والأرض .

وأذعنت لي الأرض
فوهبتها الجمال .
خلقتني الأرض
فأعدت خلقها
أجمل وأنضر وأروع
كما لم تكن أبدا من قبل
أقف مرتكزا على الكرة الأرضية
أحمل فى راحتي الشمس ،
عبري
تهبط الشمس الى الكرة الأرضية
وتصعد الأرض الى الشمس

من حولي يدور كالأرجوحة الملونة
كل ما صنعته يداي

وتدور المدن
وكتل المنازل
وأسفلت الساحات
والجسور محملة بالبشر وبالعربات
من حولي الطائرات والسفن
والجرارات والآلات
والصواريخ ، كلها تدور حولي

وهكذا أقف
رائعا ، حكيما ، صلبا
مفتول العضلات قوى البنية ،
أنبت من الأرض حتى أبلغ الشمس ،
واهدى بسماتها
للمعمورة
شرقا وغربا
شمالا وجنوبا

هكذا أقف أنا الانسان . . .

اندري فوزنيسينسكى

ولد في موسكو عام ١٩٣٣ في عائلة باحث علمي . تخرج من معهد الهندسة المعمارية في موسكو عام ١٩٥٧ . وفي العام التالي نشر أولى قصائده في الجريدة الادبية «ليتيراتورنايا غازيتا» . وفي عام ١٩٦٠ صدر ديوانه الأول والثانى «الخط المنحنى» و«الفسيفساء» . ثم صدرت دواوينه الأخرى «العوالم المعكوسة» (١٩٦٤) و«ورقة البلوط» (١٩٧٢) و«مشاعر غامضة» (١٩٨١) و«الاغراء» . كما اصدر ملاحم «الاسطوات» (١٩٥٩) و«لونجومو» (١٩٦٣) و«أوزا» (١٩٦٤) وكثير غيرها . تتميز أشعار فوزنيسينسكى بروح العصر وبالصور والأنغام المعقدة . وقد منح الشاعر جائزة الدولة في الاتحاد السوفييتي .

* * *

لا تعودوا الى الأحبة القدامى
فلا يوجد فى هذا الكون أحبة قدامى .
أشباه الأحبة —
كالمنازل المؤثثة
التى عاشوا فيها بضع سنوات .

يستقبلكم الكلب الأبيض بالعواء
فترّجع الصدى فى الغسق
أجمتان على التلة
الأجمة اليمنى فى البداية
ثم الأجمة اليسرى .

يعيش الصدى الأول والثانى فى الأجمتين على انفراد
كما فى مكبرين للصوت

ستيريو

كل ما تفعله أنت
كل ما أفعله أنا
يبثانه صائتا فى أرجاء الكون .

وفى المنزل يسقط قدح من يد الصدى
ويقدّم الصدى الزائف شايا

ويفرش السرير
بينما يتعين عليها أن تصيح :

«لا تعد اليّ يا حبيبي .
كنا هنا فى الماضي . ولا وجود لي الآن .
حبتان رائعتان من الزبيب
حبذا لو تفتحتا من أجلك . . .»

وفى مساء غد
ستلقى بالمفاتيح من نافذة القطار
الى مياه الجدول
وستناديك الأجمة اليمنى واليسرى
بصوتك أنت :

«لا تترك أحباءك
فلا يوجد فى هذا الكون أحبة قدامى . . .»

لكنك لا تأخذ بالنصيحة .

المؤتمر يصوّت

المؤتمر يصوّت مؤيدا
ترتفع الايدي فى القاعة
يندلع لهيب فتي من الايدي الساخنة
تفوح منها رائحة المحاليل

والقمح والبطيخ ودخان الأفران .
بالأمس كانت هذه الأيدي
فى الخرسانة المسلحة
فى المحاليل الكيمياوية
استقبلت المواليد فى مستشفيات الولادة
صبت اللبن فى العلب
ايدي الشباب غير الهياب
ارتفعت فى قصر الكريملين
شهادة عمل بخمسة أصابع !

لا أتذكر الآن بالضبط
هل كان ذلك فى مدينة كراسنودون
او فى جيش الخيالة الأول
او فى محطة براتسك
لكنهم بدلا من العبارات والتوصيات
كانوا يقولون : «ارني يديك !»
وامتدت نحو النار من الليل
ايدي العمال المخشوشنة
من الفحم والرماد
أجمل وأنظف الأيدي فى الكون ،
اننا نعرضها اليوم على العالم
فما فى الكون أيد أجمل منها !

لسنا بحاجة الى قارئات الكف الماهرات
كى نعرف من الأكف مصيرنا
فنحن نقرأه بأنفسنا

من أكفنا المرفوعة
فالأرض ملك للأيدي
وليس للبلوتونيوم والراديوم
لا نريد لمسامّ الايدي الفتية
ان تتشبع بالبارود .
وسيرى العالم قريبا
غبار الكواكب الأخرى
على الايدي الكادحة !

التناسب

كل الجذوع الخشبية
المستخدمة فى المنازل الروسية
بطول واحد ، بثلاثة سواجن* ،
بجزء من مليون جزء من الأرض .
عجيب غريب !
ما الذى يجعل الفلاح الروسى فى فولوغدا او تفير
يتحسس بالفؤاد
ذلك الجزء من مليون جزء من قطر الارض المشتركة ؟
كاتدرائية البشارة فى الكريملين
والكنيسة الجوهرة على نهر نيرل

* ساجن (ج سواجن ، ساجنات) — قياس روسى قديم يساوى ٢,١٣٣٦ م .

جزءان من مليون جزء
من الأرض .
وشقيقهما البارثنون اليونانى
قياس أعمدته العبقرى
مثل قياسهما
جزءان من مليون جزء من الأرض .
يا ليت المعماريين المعاصرين
المعجبين بجمال المعابد القديمة
يتعلمون قياس ما يبنونه
بجزء من مليون جزء من أرض البشر المشتركة .
ان مهندس جادة لومونوسوف بموسكو
أخذ ثلاثة سواجن
ليس انسياقا وراء الموضة
بل معياراً للجمال والمودة .
فليُعدّ لي المصير
حياة صعبة محفوفة بالمحن
لأكون ألماً وجزءا
من مليون جزء من أرضي وأرض البشر .

١٩٨٣

يفغيني يفتوشينكو

ولد عام ١٩٣٣ في مدينة زيما بمحافظة اركوتسك . وفي أعوام ١٩٥١—١٩٥٤ درس في معهد غوركي للآداب بموسكو . وبدأ ينشر قصائده منذ عام ١٩٤٩ . ويلاحظ في قصائده الأولى تأثره بشعر مایاكوفسكي كما يتأثر التلميذ بمعلمه . وكانت دواوينه الأولى «الثلج يتساقط للمرة الثالثة» (١٩٥٥) و«شارع المتحمسين» (شوسيه اينتوزياستوف) (١٩٥٦) و«الوعد» (١٩٥٧) تجسد اهتمامه الشديد بمواضيع العصر الملحة . وقد تناول القضايا الاخلاقية والوطنية والدولية .

وقدم الشاعر صورة ادبية للينين في ملحمة «جامعة قازان» (١٩٧٠) . ومن نتاج الشاعر ملحمة «محطة براتسك الكهرمائية» (١٩٦٥) . وأهم دواوينه الغنائية في السنوات التالية هى «التفاحة» (١٩٦٠) و«الحنان» (١٩٦٢) و«تلويحة اليد» (١٩٦٢) و«شعر الحب» (١٩٧٣) . واشتهرت على نطاق واسع أغنية «هل يريد الروس الحرب ؟» من كلمات يفتوشينكو .

* * *

الثلج الأبيض يتساقط
يتزلق على خيط رفيع . . .
يا ليتنا نعيش طويلا ،
لكن هيهات ، هيهات .

بعض الأرواح
تذوب فى البعيد بلا أثر
كالثلج الأبيض
وتغادر الأرض الى السماء .

الثلج الأبيض يتساقط
وسارتحل أنا أيضاً .
لست حزينا للموت
ولا انتظر الخلود .

لا أؤمن بالمعجزات
فأنا لست ثلجاً ولا نجماً

ولن أبقى الى الأبد
على قيد الحياة .

أفكر ، مثقلا بالخطايا ،
ما الذى فعلته فى هذه الدنيا الفانية ؟
ما الذى أحببته
أكثر من الحياة ؟

أحببت روسيا
بكل جوارحي ، بدمي ،
أحببت أنهارها الفوارة فى الربيع
والقابعة تحت الجليد فى الشتاء .

أحببت أنفاس منازلها الخشبية
وعطر صنوبرها
أحببت بوشكين ورازين
والعجائز والشيوخ .

عندما واجهتُ الصعاب
لم أتذمر كثيراً
وعندما عشت فى اضطراب
كنت أحيا من أجل روسيا .

اداري أملاً
مشوباً بقلق خفي ،

فلربما ساعدتُ روسيا
وانْ بالقليل .

لا يهمني ان تنسى روسيا
اسمي بعد حين
فالذى أريده
أن تبقى روسيا أبد الآبدين .

الثلج الأبيض يتساقط
كما يتساقط فى كل الأزمان
كما فى عهد بوشكين ورازين
وسيظل يتساقط بعد رحيلى .

الثلج يتساقط نتفا كبيرة
ناصعة البياض
فيمحو آثاري
وآثار غيري . . .

أنا عاجز عن بلوغ الخلود
ولكن أملي كله
فى بقاء روسيا
ففيها بقائي .

١٩٦٥

° ° °

مهداة الى م . بيرنيس

أسألوا الصمت
المخيم على المروج والحقول
اسألوا أشجار البتولا والحور
هل يريد الروس الحروب ؟

اسألوا الجنود
الراقدين فى المدافن تحت البتولا
فيجيبكم أبناؤهم على السؤال :
هل يريد الروس الحروب ؟

الجنود استشهدوا فى الحرب الماضية
ليس فى سبيل وطنهم فقط ،
استشهدوا لكى يرى كل أبناء الأرض
أحلاماً هادئة .

تنامين أنت يا نيويورك ، وأنت يا باريس
وسط حفيف الأوراق والاعلانات
فاسألا أحلام الليل ، وستجيب الأحلام :
لا يريد الروس الحروب .

أجل ، نحن نجيد القتال
لكننا لا نريد

أن يسقط الجنود من جديد
فى سوح المعارك على أرضهم الثكلى .

اسألوا الامهات
وأسألوا زوجتى
وستفهمون ، ستفهمون :
لا يريد الروس الحروب .

١٩٦١

° ° °

مهداة الى س . بريوبراجينسكى

الناس على وجه البسيطة
سجلات ممتعة كتواريخ الكواكب
كل مصير تاريخ ،
وكل كوكب نموذج فريد بين العوالم .

اذا عاش شخص ما حياة الانطواء
واتخذ من العزلة رفيقا له
فهو أيضا صفحة ممتعة بين الناس
صفحة ممتعة بانطوائيتها .

كل فرد يعيش فى عالمه الشخصى الخفى ،
فيه أفضل اللحظات
وفيه أفظع اللحظات
لكننا لا نعرف شيئا عنها .

واذا مات الانسان
يموت معه ثلجه الأول
وقبلته الأولى ومعركته الأولى . . .
فهو يأخذ ذلك كله معه .

أجل ، تبقى الكتب والجسور
والآلات ولوحات الرسامين ،
أجل يبقى الكثير الكثير
ولكن شيئا يذهب على أية حال !

تلك هى أصول اللعبة التى لا ترحم أحدا .
الذين يموتون ليسوا مجرد بشر بل عوالم كاملة
نحن نتذكر الناس بخطاياهم وأفعالهم
ولكن ما الذى نعرفه عنهم فى حقيقة الأمر ؟

ما الذى نعرفه عن اخواننا وأصدقائنا ؟
ما الذى نعرفه عن الحبيبة الوحيدة ؟
نعرف كل شىء عن الوالد الحبيب
ولا نعرف عنه شيئا على الاطلاق .

يرحل الناس . . . بلا عودة
ولن تبعث عوالمهم الخفية .
هذه اللاعودة تحملني كل مرة
على الصراخ .

١٩٦١

روبرت روجديستفينسكى

ولد عام ١٩٣٢ في قرية كوسيخا باقليم ألتاي في عائلة عسكري . وبعد التحاق والديه بالجبهة ابان الحرب الوطنية العظمى تربى في دور الايتام . ودرس في جامعة بتروزافودسك وفي عام ١٩٥٦ تخرج من معهد غوركي للآداب بموسكو . بدأ ينشر أشعاره منذ عام ١٩٥٠ . قصائده مفعمة بالحماسة الوطنية . ويختار الشاعر أكثر موضوعات العصر الكفاحية الحاحا ويقدم لها حلولا ناجعة فى مقارنات شاملة . أهم مؤلفات الشاعر ديوانا «رايات الربيع» (١٩٥٥) و«مجال العمل» (١٩٦٥) وملحمة «رسالة الى القرن الثلاثين» (١٩٦٣) و«ملحمة الحب» (١٩٦٨) و«الاهداء» (١٩٦٩) . وانتشرت على نطاق واسع ملحمته «المرثية» الموجهة ضد الحرب . وله كثير من الأغاني الواسعة الشعبية .

أنشودة الخلود

اصمتي
أيتها الاصوات الجهورية
اصمتي .
سأتحدث الآن
(ما أشد أسفي
لو أخفقت فى الحديث)
عن رفيقنا
عن غنائه
قبيل الممات .
مات
كيلا نموت . . .
اقتاده الغزاة
مثخنا بالجراح
جربوا قوته
بحبل معدنى صدئ
فخارت قواهم .
أمروه أن يحفر قبراً . .
وقال عريف منتفخ الأوداج
كالقنفذ

مدجج بالسلاح
قال ساخراً :
«ألا تغني لنا ؟ . .»
وزحف القمر
كالتيفوس
ميتا
متجهما . . .
وانتفضت النغمة
ودوت الكلمة
وأنشد المفوض أغنيته .
غنى
اختار أفضل الأناشيد
غنى
ويُعث من جديد
غنى
مرفوع الرأس
غنى
كأنما يحتسي النبيذ
غنى
متباهيا بقوته ، بصحته
«سنمضي ، سنمضي الى ما نريد
سنبني ، سنبني العالم الجديد !»
تصبب العرق منه
كما فى الحمّام
وكان أسمر

كالتراب
غنى
بشفتين ممزقتين
لا تكادان تتحركان
غنى
همساً
بانغام متنافرة
وكرر الكلمات بعناد . . .
فكان غناؤه
لا كالغناء
كان يقسم اليمين !
العبارات تنسكب
حارقة
تمتزج مع الفجر . . .
وصرخ العريف : «اطلقوا !»
واستـ . ـمر . . ت الأ . . غـ . . ية
كالرعد الهادر
وومضت كالبرق
وارتعشت أيدي الجنود الأقزام
وتراقصت البنادق عليها
ارتجف الاقزام . . .
ايها المغنون العظام
توقفوا
أرجوكم .
فليرَ المفوض

عبر الهالة الحمراء
العالم كله
ينشد «الأممية» !
وينور المصير
ونشعر بالاعتزاز
ونسمع صوت المفوض
ينبعث من أفئدتنا .

بِعتُ نفسي

«كل الكتاب السوفييت مأجورون . . .»
هكذا يقولون عنا

أنا مأجور حقاً .
بعت نفسي .
بالكامل .
فى اليقظة
والأحلام .
يقول الخصوم :
«هلك . . .»
يبتسم الأصدقاء :
«حي يرزق . . .»
بعت نفسي
لمسامّ الجليد
فى لينينغراد

للقومندان اللاتفي
ولهجته
للقادة العسكريين
فى الحرب الاهلية
ولمياه سيفاش
الرصاصية
بعت نفسي للثلج
الناصع كالقطن
لمياه ارطيش
وللهدوء المخيم قبل الحرب .
بعت نفسي لدماء
الشهداء
فى الحرب الثانية
بعت نفسي لكل قطرة
كل قطرة
من دمائهم . . .
بعت نفسي
للمواقد
التى تشتعل صدفة
كالفوز الباهر
فى لعب الورق .
بعت نفسي
لألوان بخارى الزاهية
لشاي باكو الفواح
لفتيان مصنع الجرارات . . .

بعت نفسى
لقمرة الهليكوبتر
لليل
لردهة البحّار
المتأرجحة فى حضن الأمواج .
ذات مرة
جاءت امرأة
فبعت نفسي لها
اشترتني
بماذا ؟
لا ادري حتى الآن
لكني صرت أعدّ العمر
بفصول الربيع
وانتظر العنادل
لا طيور الخريف . . .
بعت نفسي لبنتي
الغليظة الطباع
فهى لا تشبه أمها
ولا أباها .
بعت نفسي
لرسول حمزاتوف
وللنقوش على خنجره
بعت نفسي
لخرير مياه أنغارا
وبالانغا

وكيجى
لكل ما أعرفه
وما لا أعرفه . . .
بعت نفسي
للكلمة الوليدة
قبل ان تستبدل بالتفاهات
بعت نفسي
لمایاكوفسكي وسفيتلوف
وللأرض
التى تنبت فيها
الاشعار ! . .
لم تنطفئ جميع مواقدي
ولم يتكشف مصيري
بكل تفاصيله . . .
لكنني بعت نفسي
حتى العظام والاحشاء
فلا يمكن لأحد
أن يشتريني .

ستانيسلاف كونايف

ولد عام ١٩٣٢ بمدينة كالوغا . تخرج من كلية اللغات والآداب في جامعة موسكو ١٩٥٧ . بدأ بنشر نتاجه منذ عام ١٩٥٦ . وفي عام ١٩٦٠ صدر في كالوغا ديوانه الأول «رواد البر» ثم صدر له ديوان آخر في مجموعة قصائد بعنوان «دفتر كازاخستان» عن عمل الشبيبة في استصلاح الأراضي البكر . وفي الدواوين التالية : «الزوبعة تجتاح المدينة» (١٩٦٦) و«رفيقة الطريق الأبدية» (١٩٧٣) وغيرهما تجلت موهبة الشاعر في طرح القضايا الاخلاقية .

ليالى الشمس

١ . طيور من الشرق

فى سماء قرية عربية فقيرة
على أطراف قرطاج العريقة
رأيت الطيور المهاجرة
متجهة الى الشمال .

الى الغابات القاتمة
الى الأعشاش القديمة
والمستنقعات الباردة . . .
والسماء زرقاء والعين تتعب من التحديق .

السرب يعوم فى السماء
كصف من المحاربين
يتبع بعضهم بعضا
ويتخلف طير يناغى رفيقته .

سأرى هذه الطيور فوق قفار ميزين
وبحيرات ميغير الخالية . . .

فهى لا تعرف الحدود
التى لا حياة لنا بدونها .

أفلم يتعقبها هتيبعل
على الفيلة المقاتلة
زارعا الرعب فى قلب روما
فلم تنس جحافل البادية ؟

٢ . معبد فى كلكتا

ما أشد قلقنا على انفسنا وأوربا والعالم !
لكن الأطفال يزحفون على الأرض
فى معابد الهندوس القديمة .
وعجائز تزين رقابها العجفاء
عقود من ألماس
يتصدقن على المقعدين
بنقود يلقينها بازدراء
ويصورن المشوهين
وينصرفن متبخترات كالهياكل العظمية . . .
أما أنا الذى تصورت
بانى سددت كل ديوني للعالم
فأرى الآن اني مدين من جديد .
ربما يحار العقل
أمام لغز من ألغاز الزمان

فقد علمتنا يا زمان كل شىء
ما عدا التطلع الى مصائب الغير
بعين لاابالية . . .
ومن جديد يرزح ضميرنا الروسى
تحت عبء ثقيل .

٣ . . .

تحت سماء البادية
التى نعرفها من كتاب التكوين
سمعت خرير مياه الأردن
تصب فى البحر .

الملح الصخرى فى كل مكان
والتربة مالحة مالحة
وزوجة لوط المنحوس
تحولت الى شاخص ملحى من كثرة الدموع . . .

البحر الميت ثقيل
مالح حتى آخر قطرة
مصيبة فلسطين
تصب فيه كمحلول الأملاح .

ماء الأردن يجرى
يمر تحت الجسر المنسوف

النهر يندمج بالحدود
بالمخفر وحاجز المرور .

حط هنا منديل جلبته الريح
منديل فلسطينية
تحجرت كعمود من الملح
عندما تركت منزلها هناك .

الحقول الوادعة احترقت من زمان
على هذه الضفة وتلك
ولا يزدهر الا الصفصاف الباكى
مثل صفصاف روسيا المتهدل الأغصان .

٤ . . .

هذا الفتى العربى الأسمر بأسنانه اللؤلؤية ،
حفيد القبائل العظيمة ، نصير همام
شاعر متدروش
صار داعية العصر الجديد .

السياسة من شؤون الرجال وليس الفتيان
هكذا جرت الأمور من قديم الزمان
ولهذا ، ولأسباب عديدة أخرى ،
اطلقوا الرصاص على ظهر الفتى العربى الأسمر .

كان مراسلا يغذ السير
على درب قديم قرب البحر الميت
هناك فى أرض الجليل
حيث اجترح المسيح معجزاته الشهيرة .

هناك حيث تسكب على الأرواح
كالحمم الملتهبة أقوال عن عدم مقاومة الشر
يتسخن الدم من جديد على الحجر الساخن
وتتحول النار الى رماد .

القيظ يخنق الشجيرات
ولكن قلل من غلوائك يا قاتل
فطالما تقبلت أرض الوطن فتاها العربى الأسمر
فهو ليس فى المنفى .

٥ . . .

اذا جدَّ الشباب
من أجل السيطرة على العالم
يدفعون بالكامل ثمن الهذيان المحموم
هذيان التفوق والعظمة .

باية عملة يدفعون الثمن ؟
بالفتوة والدم مقابل الانصياع للنزوات

مقابل فتح المنافذ الوحشية
أمام القوة والعنفوان .

ولكن اذا كان جيل الشيوخ
يسلك نفس الطريق
فلا ينتظر أفعاله
سوى الانقراض والفساد .

فالشيخوخة المتشنجة
الرازحة تحت ثقل العجز
تنساق للهياج والانفعال
البعيدين تماما عن الحماس .

٦ . فلسطينية

فى الرحاب العربية
لا فى غابات أنصارنا الشمالية
رأيت فى عينين لوزيتين
غضباً يعتز به الانسان .

يا فلسطينية
عيناك تتقدان بالغضب
وأنت محرومة من الأسرة والديار
وراحتا يديك قاتمتان من البندقية .

فولاذ البندقية الرشاشة
ليس لأصابع الاناث الرقيقة
ولكنك تتطلعين الى رحاب الصحراء
بنظرة عبر شق التنشين .

أفهم حماسك بلا كلمات
فأنا أيضاً كنت طريداً
ابان الحرب
وأنا مثلك أعرف ثمن الحرية .

٧ . . .

ولى ذلك الزمان ملفعا بالضباب
عندما ولدت افروديت من زبد البحر
وخرجت تسير حافية
على الرمال الذهبية .

لكن البحر هائج كما كان
والأمواج تحمل الى الشاطئ
أخشابا وقنانى ومازوتا
بدلا من الأبدان الانثوية .

الجرائد توشوش تحت الأقدام
ويتصاعد دخان المواقد

ومراحيض الفنادق الفخمة
تزأر على كل سواحل البحر .

فى هذه البقعة جففت افروديت
ضفائرها البليلة
وفى هذه البقعة ينبش الجرو النفايات . . .
ولكن الأمواج تدمدم مع ذلك .

وتقول ان الساعة لا ريب فيها
وان الجنس البشرى لن يفرح لقدرته
وسيتعب من ابتداع أسباب الراحة
التى ينبعث منها الدخان الخانق .

ستنضب آخر محتويات باطن الأرض
وسيتبخر النفط عن آخره
وستنحر الطبيعة
كآخر ضحية على المذبح . . .

وتخرج الإلهة الى الشاطئ من جديد
لكن العالم الغارق فى النسيان
لا يتذكر اسمها القديم
ولا سر ميلادها .

٨ . دمشق

تجولت فى عصرنا
وتفرجت على عصور أخرى . . .
ورأيت الحمام على المنارة الذهبية
يرسم نقوشا وكتابات على صفحة السماء .

ريح الظهيرة تهب من الرمال
بطعم مرير تارة وحلو تارة أخرى
يعجبنى التشوش الشرقى
وتعجبني روائح المجامر والزهور .

صخب الجمهور . . . والبيع والشراء . . . والشتائم . . .
فى ضوضاء السوق
كردية واسعة العينين
اخرجت ثديا من تحت الوشاح

ثديا أسمر مثال الكمال والجمال
وغرز الانسان الصغير فمه فى سمرة أمه
وراح يرضع متلذذاً
ملتصقا بسعادته .

لعله يشق طريق البعث
أمام اشقائه المعذبين . . .

وقد غفا محتضنا الصدر الأسمر
بساعدين ضعيفين .

٩ . حوار مع مهاجر

هذه الأرض مجرد بقعة سكن بالنسبة لك ، يا ابن الكلب ،
وهى ، بالنسبة لى ، وطن
فلتلفظك كما يتقيأ السكران ،
بأنين ثقيل من البتولا والزيزفون .

تقاسمت معك الامل والرغيف
والأفراح والأتراح
ولكنك منعتى من قراءة
الفصول الاخيرة من كتاب المصير .

لكنى أكبر وأنضج ولا أطالب بتسديد الدين
فابق مع السم الزعاف فى الدم
فالمثل المشهور يقول
عين الذئب على الغابة مهما أطعمته .

وبالمناسبة فالذئب وحش أسطورى
يذود عن حريته

أنا أفهمك ولكننى مع ذلك
أقدرك تقديراً كبيراً عندما أقول :

الحقد جزاء الحقد
ما دمت لا تستطيع مقابلة الحب بالحب
فارتحل كظل يطوف الى الأبد
كشيطان يختفى
بعد أن يروى لأمد قصير غليله الحاقد .

١٠ . . .

تارة ظالمون وتارة مظلومون . . .
ما الذى يجعل الرياح العالمية ترغمهم
على تكرار طريق العودة
فى حلقة دائرية
طريق اعادة توزيع القوى ؟
من الذى حكم عليهم دون رحمة
بمرض الأعصاب ؟
لا أحد يقيد حرية الافئدة
والأتربة محت معالم الطريق . . .
كل ما يُطلب من الناس
ان يرتبوا مسقط رأسهم
ليكون منزلا ومقبرة
ليظل محميا من القِدم

لا بالدولار والفانتوم
بل بالكلمة والمحراث والكتف
لتولد موسيقى المصير
لا من كآبة الأساطير
بل من ضجيج العمل والنضال
من حفيف السنابل فى الحقول .

١١ . . .

فى بساتين تونس المخملية
الهواء يعبق بعطر الورود
وشذى النعناع
وحفيف الزهور الصفراء .

ليت المرء يتجول ويتنسم هذه العطور . . .
لكن النمل المشغول بهمومه
يزحف فى الدروب
كالانسان الآلى او الجنود .

كل نملة تحمل الى بيت النمل
مادة انشائية او طعاما
وكل طفيلى او كسول
يتجرع كأس الموت فى الحال .

كل النمل يعمل كرجل واحد
تاركا الكبرياء والحسد
لأخوانه البشر ،
فلا تفاوت ولا فوارق . . .

ربما لا يوجد دواء ناجع
لعللنا ومصائبنا
أفضل من طريق النمل المتآخى
ووحدته وتعاضده .

ليس عبثا ان ظل النمل على الأرض
بينما انقرضت حيوانات فظيعة كثيرة
ولم يتوانَ عن العمل
وحافظ على تقاليده .

ومن حين لآخر
تحمل رياح البادية الشديدة
أنفاس هضاب فلسطين
السابحة فى الدم واللهيب .

١٢ . . .

اثنان من أبناء شعبين متجاورين
تجاذبا أطراف الحديث

عن وحشية الغزوات القديمة
حتى نشب بينهما خلاف شديد .

فى البداية سمعت عتابا
لا تكاد تلاحظ فيه ،
كجذور فى الضباب ،
منابع الشر الدائم على الأرض .

لكن هذين المثقفين
استحضرا ، كما تستحضر الأرواح من الظلام
حكايات وأساطير
جعلتهما يفقدان رشدهما .

وكأن أحدهما
اقتاد قطيع غنم من الآخر
وكأن الصيحة ستدوى
وتدعو الى الاقتتال .

وتطاير الشرر وصلصل الحديد الصدئ
ونز الدم وتعالى الصياح الأبح
فهل يبقى مجال للحب
والكلمات العذبة ؟

لن يعرف أحد
أين الحق وأين الباطل

لكن حقيقة ما
انسابت مرتعشة على وجهي .

تذكرت الواجب
المحتم عليّ كمواطن روسي :
ان أصلح بين الارادتين
المتعطشتين للدماء .

ايها الناس ، اتقوا لله
لن انكأ جرحى القديم
أمام الجميع
ولن أصفي الحساب مع أحد .

شهداؤنا أكثر من أن يعدوا
ولم نضمر العداء والثأر لأحد
وربما لذلك بالذات
صرنا الأمل الوحيد للعالم .

فلاديمير سوكولوف

ولد عام ١٩٢٨ بمدينة ليخوسلافل في محافظة كالينين . تخرج من معهد غوركي للآداب عام ١٩٥٢ . بدأ ينشر قصائده في الصحف منذ عام ١٩٤٨ . ويتميز شعره بالاهتمام بالعالم الداخلي للانسان المعاصر . والكثير من قصائده مكرس لمواضيع الحب والطبيعة والابداع الفني . وأهم دواوينه هي التالية : «عشب تحت الثلج» (١٩٥٨) و«في الجانب المشمس» (١٩٦١) و«سنوات مختلفة» (١٩٦٦) و«قصائد عاطفية مختارة» (١٩٦٧) و«الثلج في ايلول» (١٩٦٨) و«عودة الشباب» (١٩٧١) . واشتهر سوكولوف بترجمة قصائد الشعراء الجورجيين .

* * *

الماضى يكاد يطوى الحرب
ومجريات المعارك تغدو من الأساطير .
يدرس التلاميذ تفاصيل الحرب فى الكتب
اما نحن فقد درسناها من البلاغات الحربية .

درسنا ، كما يتهجى الأطفال مقاطع الحروف ،
من الصليات الأولى للمدافع الجوية فى المدن
الى اطلاقات النصر الشهيرة المجيدة
التى يعجز لساني عن تجسيد قوتها .

الحرب التى أحرقت رحابنا
وامتد ظل لهيبها عبر القرون

تعلمناها فى الصفوف الباردة
وكانت هى واجبنا البيتى بعد الدروس .

. . . لا أتحدث عن ذلك حبا فى تذكر الطفولة
بل لأني لا أستطيع
أن أراجع ذلك السجل العظيم
الا من خلالها .

اتمعن فيما جرى فى تلك الآونة الرهيبة
عندما فارقنا الهدوء دون أسف
كى نغدو اليوم على قدم المساواة
مع الأجيال التى اجتازت معترك الحرب .

١٩٤٩

° ° °

ما أشد رغبتي
فى أن تنسى هذه السطور
بأنها كلمات
وتغدو سماء وقبابا وريحا وأشجارا !

واذا فتحت صفحة الديوان
تتفتح نافذة
وينساب الضوء وتغرد الأطيار
ويفوح نفح الحياة

١٩٤٨

° ° °

العالم ملفع بغلالة شفافة
تلك هى سمة أيام الخريف الزرقاء
الطيور تتململ منفعلة قلقة
فاعشاشها غدت مرئية .

كل شيء مكشوف أمام العين البصيرة
من قاع الجدول حتى خيط العنكبوت
فالخريف الصافى
مغرم بالانتقاء والغربلة .

أحدق فى القاع وفى سرب البط
ولا أرى او أسمع شيئا سواهما

فأنا مثل هذا الصباح
كائن من سمع وبصر .

ألقى شباكي وأصطاد
ولا مجال للهو والبطر
فأنا نفسي هدف لصياد أكبر
هو الزمن الذى يلاحقني

أنا صامت ينتابني القلق :
فالخريف يفهم كل شيء .
وجاري واقف قرب منزله
وبيده خشبة ومسمار .

وهو مثلي يتطلع ويتأمل طويلا
ويقول ضاحكا :
سارتدي جزمتي اللباد
فرغت من صنعها فى الوقت المناسب .

ماذا يا فتى ، هل نظمت بيتا
ام وقعت فى الغرام من جديد ؟

وارتدى جزمته اللباد
فالحياة ، كما يظن ، زودته بالحكمة .

١٩٥٦

فيتالي كوروتيتش

ولد في كييف عام ١٩٣٦ . تخرج من معهد الطب في كييف (١٩٥٩) وعمل طبيبا . بدأ ينشر أشعاره منذ عام ١٩٥٤ . وفي دواوينه «الأيدي الماهرة» (١٩٦١) و«عطر السماء» (١٩٦٢) و«اللهيب» (١٩٦٨) و«التحول» (١٩٧١) و«يوميات» (١٩٧٣) و«قانون الأرض» (١٩٧٥) و«الكرامة» (١٩٧٧) وغيرها تجسيد لطابع تفكير ومشاعر الفتى السوفييتي في الستينات والسبعينات ووطنيته ونزعته الانسانية النشيطة وروحه الجماعية ونزعته الأممية وشجبه الحازم للابتذال واللاابالية والزيف . ويتميز شعر كوروتيتش بالصبغة الذهنية الاجتماعية . كما ان له قصة «الذاكرة القاسية» (١٩٧١) ومجموعة مقالات «ياكندا» (١٩٦٦) و«النجوم والخطوط» (١٩٦٨) و«انسان بالكامل» (١٩٧٢) و«الانسان في دياره» (١٩٧٤) ، بالاضافة الى ترجمات لنتاج شعراء انجليز وسلافيين .

لينين

أشار لينين الى أنه ، المرة بعد الأخرى ، طلب من رئيس
حرس الكرملين ، ويطلب مرة جديدة ، أن يسمح لأي انسان يأتي
اليه ، سواء كان يحمل تصريحا بالمرور ام لا ، بأن يتصل
بسكرتيرته دون أدنى تأخير . . .

حين يداعب الكرى أجفان الحراس
ويسندون خدودهم الى كعوب بنادقهم ،
حين يطوف الليل مهمهما
عبر الدهاليز البيضاء ،
يقبل نحوك زائر يا لينين ،
وهو يحمل روائح الدخان والنار
وعلى جبينه الأبيض
ضمادات دامية
ويمر الزائر بكل ردهات الاستقبال
حتى يصل الى بابك فيفتحه
ويجلس
واضعا على ركبتيه
يديه الثقيلتين ،
ويمضى يحكي لك فى أسهاب

كيف كان الفتيان يحاربون
وكيف كان بعضهم يسقطون
ويحضنون الأرض ، يضمونها الى صدورهم .
وتستمع أنت الى ما يقصه ذلك الانسان
الذى تبلورت رغباته الأخيرة
فى أمل واحد
هو أن يراك يا لينين
لقد أصبح خلوده
من خلود أفكارك
وأنت تصغى فى تأثر
الى حكاية الجندي يسردها فى هدوء .
كم من دماء غزيرة تدفقت
فى شرايين العصر الجديد .
ان أمام عينيك يا لينين
عبر همهمة أمطار الدم ،
يلوح وجه الكسندر أوليانوف
وتنهمر دموع أمّك
كم من الأعين تنطفئ
حتى يزول الليل
على غطاء المنضدة
فتات خبز
ولقد أتى الزائر من منطقة نهر الفولجا .
على غطاء المنضدة
قطرة دم
كان هنا مناضل من أوكرانيا أيضا

ولقد مر كل من الزائرين بالحراس
وقال كل منهما ببساطة
«لا بد أن نرى لينين»
واذنوا لهما بالدخول .
لا بد أن تستقبل الجميع يا لينين
لا بد أن تفهم الجميع
لا بد ألا يتوقف ذلك القلب
الذى يضم العالم كله .
وحين تغادر مكتبك هنا ،
لا تطفئ ذلك النور .
دع وراءك
ذلك النور المشرق الى الأبد
دع المصباح مضيئا
ينير الطريق للذين سوف يدخلون
من هذه الأبواب
ويجيئون الى هنا .
وعبر السنين ،
سوف ينظر اولئك الوافدون
الى عيون كل الزوار السابقين
من مرّوا ببوابات الحرس ،
قادمين من وطيس القتال .
ازف الوقت لتستريح قليلا
فاذهب . . .
غير أن رصاصة تحت القلب
تعيش ذكرى

ان المعركة لم تشارف النهاية .
وهل بوسعك أن تغفو ؟
وأنت تسمع من جديد ،
فى سكون الدهاليز والممرات
وقع أقدام اولئك
الذين يحتاجون اليك ؟
وتنهض من وراء المنضدة يا لينين ،
وتبسط يدك ،
وتمضى ساعيا نحو القادمين ،
وتحمل اليهم ،
خفق القلب الدافئ
وفولاذ الارادة الصامدة ،
وألما من فعل الرصاصة
التى أصابوك بها فى المعركة .

محتويات

في الشعر السوفييتي ٥

الكسندر بلوك ٢٠
حطم الخريف قيوده ٢١
الغريبة ٢٢
الربيع بلا نهاية ولا حدود ٢٥
صورتك الوضاءة في اطارها البسيط . . . ٢٨
ما أقسى ايار ولياليه البيضاء ! ٣٠
ابناء السنين العصيبة ٣١

فلاديمير مياكوفسكي ٣٣
مقطع من ملحمة «رائع للغاية» ٣٥

سرغي يسينين ٤٢
الخميلة الذهب ٤٣

ارتحال الشباب ٤٤
رسالة الى أمّي ٤٥
فتاة خراسان ٤٧
الريح الفضية ٤٩
يا «ش — ج — نيه» ٥٠

بوريس باسترناك ٥٢
حلم ٥٣
الندى الثلجي ٥٤
ليلة الشتاء ٥٦

نيكولاي تيخونوف ٥٨
النار والحبل والرصاصة والفأس ٥٩
المسامير ٦٠
برزخ بيريكوب ٦١

ادوارد باغريتسكي ٦٤
صياد العنادل ٦٥
اصابنا الذبول والخور ٦٧
البطيخ الاحمر ٦٩

فلاديمير لوغوفسكوي ٧٢
أنشودة الريح ٧٣
يا بلاشفة البادية والربيع ٧٧

ميخائيل اساكوفسكي ٨٢
احرقَ الأعداء داره ٨٣
كاتيوشا ٨٥
خيم السكون من جديد ٨٦

ميخائيل سفيتلوف ٨٨
لم ادخل الحانة في حياتي ٨٩
الايطالي ٩٠
غرناطة ٩٢

ياروسلاف سميلياكوف ٩٨
شعار دولتنا ٩٩
شوح الكريملين ١٠٢
العجوز والمغزل ١٠٣
حسناوات روسيا ١٠٧
النجوم تلمع هناك في السديم ١٠٨
اللغة الروسية ١١٠
اذا مرضت ١١٢

اناتولي سوفرونوف ١١٤
البستان المهجور ١١٥
في الفنادق على طرق كينيا ١١٧
لا تروضوا الحصان العجوز ١١٩
انظر الى روسيا فى محطاتها ١٢١
اذا ناديتك ١٢٢
خريف آخر فى روستوف ١٢٤

الكسي سوركوف ١٢٨
الجندي ١٢٩
الى صوفيا كريفس ١٣١

قسطنطين سيمونوف ١٣٢
الى ف . س ١٣٣
الوطن ١٣٤

الكسندر تفاردوفسكي ١٣٦
عندما وضعت الحرب أوزارها ١٣٧
تأملات في الفتوة ١٤٢
لا أعرف طعم الراحة ١٤٤
كل القضية في شيء واحد : ١٤٧

مكسيم تانك ١٤٨
خبزي اليومي ١٤٩

ليونيد مارتينوف ١٥٠
أرأيت الى عابر السبيل ١٥١
تباشير الثلج ١٥٦
الماء ١٥٨
الصدى ١٥٩
بماذا تشعر ١٥٩
ظاهرة جديدة ١٦١
الأوراق ١٦٣

فاسيلي فيودوروف ١٦٤
الأفئدة ١٦٥
أنا معك يا روسيا ١٦٥
الضرير ١٦٩
هيلانة ١٧٠

دافيد صموئيلوف ١٧٤
الأربعينات ١٧٥
قبل ميلاد الثلج ١٧٦
دنيانا المثقوبة بالطلقات ١٧٨

رسول حمزاتوف ١٨٠
اللقالق ١٨١
أهالي الجبال في زيارة لينين ١٨٢
ثمانيات ١٨٦
الدم . .والدمع ١٩١
الى أمّي ١٩٢

ادواردداس ميجيلايتيس ١٩٤
الانسان . . . . . ١٩٥.

اندري فوزنيسينسكي ١٩٨
لا تعودوا الى الأحبة القدامى ١٩٩
المؤتمر يصوّت ٢٠٠
التناسب ٢٠٢

يفغيني يفتوشينكو ٢٠٤
الثلج الأبيض يتساقط ٢٠٥
أسألوا الصمت ٢٠٨
الناس على وجه البسيطة ٢٠٩

روبرت روجديستفينسكي ٢١٢
أنشودة الخلود ٢١٣
بِعتُ نفسي ٢١٦

ستانيسلاف كونايف ٢٢٠
ليالي الشمس ٢٢١

فلاديمير سوكولوف ٢٣٦
الماضي يكاد يطوي الحرب ٢٣٧
ما أشد رغبتي ٢٣٨
العالم ملفع بغلالة شفافة ٢٣٩

فيتالي كوروتيتش ٢٤٢
لينين ٢٤٣

الى القراء

ان دار «رادوغا» تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب وترجمته ، وشكل عرضه ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكى بولفار ١٧ ، موسكو ، الاتحاد السوفييتى